حوارات الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليـهود

كتبه
محمد بيومى
عفا الله عنه

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م

مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع

المنصورة أمام جامعة الأزهر

ت: ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [المائدة: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال تعالى: ﴿ وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُم ﴾ [آل عمران: ٧٣].

وبعد

هذه الآيات وغيرها الكثير تبين مدى عداوة اليهود والنصارى للإسلام وأهله، وتبين أن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة فإنهم لا يتركون سبيلاً لحرب الإسلام والمسلمين إلا واستخدموه، وولجوه. وهذا العداء ليس وليد اليوم أو الأمس القريب، بل هو مقترن ببعثة النبى ﷺ فإن اليهود كانوا يقرؤون صفة النبى ﷺ فى التوراة، بل وكانوا يستنصرون به ﷺ قبل بعثته على مشركى العرب، ويقولون لهم سوف يُبعث نبيٌ آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما بعث الله نبيه ﷺ من العرب كفرت به يهود وقالوا لا نعرفه!!

قال الله تعالى:
﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[1]

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ يقول الله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ يعنى اليهود

(١) البقرة: ٨٩.

﴿ **كتَابٌ مِّنْ عند اللَّه** ﴾ وهو القرآن الذى أنزل على محمد ﷺ ﴿ **مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ** ﴾ يعنى من التوراة. وقوله﴿ **وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ أى وقد كانوا من قبل مجئ هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم يقولون: إنه سيبعث نبيٌّ فى آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم. . . عن ابن عباس أن يهوداً كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه فلما بعثه من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود بن سلمة: «يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه بصفته فقال سلام بن مشكم أخو بنى النضير ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذى كنا نذكر لكم»(١).

وقد نشب الصراع بين اليهود والمسلمين منذ هاجر النبى ﷺ إلى المدينة لكى ينشر منها دعوة الإسلام.

وكانت إحدى وسائل اليهود فى حرب الإسلام هى توجيه الأسئلة للنبى ﷺ ومحاورته بقصد احراجه ﷺ ولكن اليهود عليهم لعنة الله نسوا أو تناسوا أنهم يسألون ويحاورون من قال الله تعالى فى حقه ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾(٢).

وقبل أن أستعرض حوارات الرسول ﷺ مع اليهود أذكر نبذة مبسطة عن كيفية نزوح اليهود إلى الجزيرة العربية.

اليهود فى الجزيرة العربية

«عاش اليهود فى شبه الجزيرة العربية بعد أن وصلوا إليها» (٣) نتيجة كل من الغزو البابلى والغزو الرومانى وما لحق أورشليم من تخريب وتدمير وخاصة بعد خراب الهيكل على يد تيطس سنة ٧٠ ميلادية، وما أصاب الشعب الإسرائيلى من تمزق أدى إلى هجرات كثيرة، استقرت جموع من المهاجرين اليهود شمالى الحجاز،

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٢٤).   (٢) التوبة: ٣٣

(٣) «خطر اليهودية العالمية» عبد الله التل ص ٣٨.

وكانت منهم بطون بنى النضير وبنى قريظة وبنى قينقاع وبنى المصطلق.

وتجمع المصادر على أن هؤلاء اليهود وجدوا بين القبائل العربية الأمن والسلام، وجادت العروبة على اليهود باللغة، فأجادوها، وصار منهم الشعراء والخطباء والحكماء، واكتسبوا بعض الخلال العربية ونعموا بالحرية المفقودة أجيالاً، وبالرجولة الضائعة قروناً، وبالفطرة العربية التى أكسبتهم إياها البيئة والمخالطة والمنافسة.

كانوا يشتغلون بالزراعة وتربية الماشية، وأنشئوا لهم مزارع فى خيبر ووادى القرى وتيماء. واشتغلوا بالتجارة والربا، وأكلوا أموال الناس بالباطل.

واشتهر بنو قينقاع بصناعة السيوف والدروع والآلات الحديدية.

واستوطن بعضهم بلاد اليمن فى العصر الحميرى الثانى - ٣٠٠/ ٥٢٥م - حيث وجدت ديانتهم أرضاً خصيبة، فاعتنقها بنو حمير وبطون من كنانة وكندة وبنى الحارث، تدعيماً لهم فى وجه المطامع مع الحبشية، وخوفاً من سيطرة الدولة الرومانية الشرقية.

وصارت اليهودية فى نظر معتنقيها اليمنيين تمثل الروح القومية، علي حين صارت المسيحية رمز التدخل الأجنبى وأثراً من آثاره، لهذا كان الصراع بين الدولتين محتمل الوقوع بين حين وآخر. وانفجر الصراع بمذبحة كبرى أوقعها اليهود بمسيحىٍّ نجْران سنة ٥٢٣م، فاستنجد من أفلت منهم بالبيزنطيين، فأرسل الامبراطور جستين الأول - ٥١٨/ ٥٢٧م إلى ملك الحبشة يدعوه إلى أن يضع حداً لعدوان اليهود فى اليمن، واستطاع أبرهة أن يهزم ذا نواس اليهودى سنة ٥٢٥م.

بهذا سقطت دولة حمْيَر فى يد الأحباش وقضى على جميع آثار دولتهم السياسية والدينية، ووقع اليهود فى قبضة العناصر النصرانية، وفر منهم من فرَّ إلى شمال الجزيرة، أو إلى بلاد فارس.

وتبع هجرة الأوس والخزرج إلى يثرب أن صار وفاقٌ بين العرب واليهود، بسبب أن العرب كانوا شركاء اليهود فى عداوة الرومان، أو لأن العرب كانوا سوقاً جديدة للمنتجات اليهودية، لكن سرعان ما تعرف العرب على المطامع مع

اليهودية، وعلى ما يتصفون به من اللؤم والغدر والخداع - فدب بينهم الخلاف الذى كان يصل إلي حد الحروب، وكان اليهود يخشون التمادى فى العداوة خوفاً على مصالحهم الإقتصادية، وتحسُّباً للوجود الرومانى فى الشمال والجنوب.

وكان اتصال بين الغساسنة وعرب الأوس والخزرج فازداد خوف اليهود، وعملوا على الوقعية بين القبيلتين، وناصروا فريقاً ضد فريق، حتى كان يوم (بعاث) المشهور.

ومع ظهور الإسلام أخذ اليهود يتتبعون أخبار الدعوة الجديدة» [١]. وراحوا يألبون قريشاً على النبى ﷺ عن طريق توجيه الأسئلة، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قالت قريش لليهود: اعطونا شيئًا نسأل هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح فأنزل الله **﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾** قالوا: أوتينا علماً كثراً التوراة، ومن أوتى التوراة فقد أوتى خيراً كثيراً، فأنزلت: **﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر﴾** إلى آخر الآية [٢].

فلما هاجر النبى ﷺ من مكة إلى المدينة استقبله بالأسئلة ليحرجوه، ولكن كان منهم قلة قليلة شرح الله صدرها للإسلام وذلك بعد أن استمعت إلى جواب النبى ﷺ، ومن هؤلاء عبد الله بن سلام رضى الله عنه، فقد روى البخارى فى صحيحه عن أنس رضى الله عنه أن عبد الله بن سلام بلغه مَقْدَمُ النبى ﷺ المدينة، فأتاه يسأله عن أشياء فقال: إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى: ما أول أشراط الساعة. وما أول طعام يأكله أهل الجنة، وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرنى به جبريل آنفاً. قال ابن سلام ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة. قال: أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب. وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت. وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد. قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بُهتٌ، فاسألهم عنى قبل أن

(١) «اليهود تاريخ وعقيدة» دكتور كامل سعفان ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) صحيح. رواه الترمذى (٣١٤٠) كتاب التفسير، وقالك حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

يعلموا بإسلامى فجـاءت اليهود، فقال النبى ﷺ: «**أىُّ رجل عبـد الله بن سلام فيكم؟**» قالوا: خيرنا وابن خيرنا وأفضلنا وابن أفضلنا. فقال النبى ﷺ: «**أرأيتم إن أسلم عبـد الله بن سلام؟**» قالوا؟ أعاذه الله من ذلك. فأعاد علـيهم فقالوا مثل ذلك. فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. قالوا: شرُّنا وابن شرِّنا، وتنقَّصوه. قال: هذا كنت أخاف يا رسول الله»(١).

ولما أسلم عبد الله بن سلام حسُن اسـلامه حتى إن النبى ﷺ بشَّره بالجنة، فعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قـال: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لحى يمشى إنه فى الجنة إلا لعبد الله بن سلام»(٢).

وكان ابن سلام ينصر دعوة النبى ﷺ بما أوتيه من العلم بالتوراة، فعن عبد الله بن عـمر رضى الله عنـهما أنـه قال: إنَّ اليـهود جاؤا إلـى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيـا، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما تجدون فى التوراة فى شـأن الرجم؟ فقالـوا: نَفضحُهُـم ويُجلدون. قال عبـد الله بن سلام: كذبتم، إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلـها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سـلام: ارفع يدَك، فرفع يده، فإذا فيها آيـة الرجم، فأمر بهما رسـول الله ﷺ فرُجما، فرأيت الرجـل يحنى على المرأة يقيها الحجارة»(٣).

ولم يذعن بقية اليهود للحق كعبـد الله بن سلام، بل ذهبوا يتعنتون فى غيهم وظلوا يسألون الرسـول ﷺ ويحاورنه والرسول ﷺ يجيبهم عـلى ما يسألون ولكنهم لا يجيبون الرسول ﷺ إلى الإسلام!!

---

(١) رواه البخارى (٣٩٣٨) كتاب مناقب الأنصار، باب: كيف آخى النبى ﷺ بين أصحابه.
(٢) رواه البخارى (٣٨١٢) ومسلم (٦٢٦٣) وأحمد (١/ ١٦٩).
(٣) رواه البخارى (٦٨٤١) كتاب الحدود، باب: أحكام أهل الذمة واحصانهم إذا زنوا ورُفعوا إلى الإمام.

الرسول ﷺ فى المدينة المنورة

ذكرت فيما سبق أن اليهود قالوا لقريش سلوا محمداً عن الروح فنزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلا﴾[1] ولكن اليهود لم يكتفوا بهذا الجواب الإلهى لأنهم يريدون من وراء ما يسألون إثارة الجدل وزرع الشك والقلق فى المجتمع الاسلامى، فها هم يعودون مرة أخرى لتوجيه هذا السؤال نفسه إلى رسول الله ﷺ. فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: بَيْنَا أمشى مع النبى ﷺ فى خرَب المدينة ـ وهو يتوكأ على عسيب معه ـ فمرَّ بنفرٍ من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح. وقال بعضهم لا تسألوه لا يجئ فيه بشيء تكرهونه. فقال بعضهم لنسألنه، فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم، ما الروح؟ فسكت فقلت: إنه يوحى إليه، فقمت. فلما انْجَلى عنه، فقال ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلا﴾[2].

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «وقع فى بعض التفاسير أن الحكمة فى سؤال اليهود عن الروح أن عندهم فى التوراة أن روح بنى آدم لا يعلمها إلا الله، فقالوا نسأله، فإن فسرها فهو نبى، وهو معنى قولهم: لا يجئ بشيء تكرهونه. وروى الطبرى من طريق مغيره عن ابراهيم فى هذه القصة «فنزلت الآية فقالوا: هكذا نجده عندنا» ورجاله ثقات[3].

وقال النووى ـ رحمه الله ـ «وليس فى الآية دليل على أنها لا تُعلم، ولا أن النبى ﷺ لم يكن يعلمها، وإنما أجاب بما فى الآية الكريمة لأنه كان عندهم أنه إن أجاب بتفسير الروح فليس بنبى»[4].

---

(١) الإسراء: ٨٥.

(٢) رواه البخارى (١٢٥) كتاب العلم، باب: قول الله تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾. ومسلم (٦٩٢١) كتاب التوبة، باب: سؤال اليهود النبى ﷺ عن الروح وقوله تعالى ﴿ويسألونك عن الروح﴾.

(٣) «فتح البارى» (٨/ ٢٥٦) ط الريان.

اليهود يختبرون نبوة النبى ﷺ مرة ثانية

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبى واتبعناك، فأخذ عليهم ما أخذ اسرائيل على بنيه إذ قالوا الله على ما نقول وكيل، قال: هاتوا قالوا: أخبرنا عن علامة النبى، قال: تنام عيناه ولا ينام قلبه، قالوا: أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر قال: قال: يلتقى المآن فإذا علا ماءُ الرجل ماء المرأة أذكرت وإذا علا ماءُ المرأة ماءَ الرجل أنثت، قالوا: أخبرنا ما حرم اسرائيل على نفسه قال كان يشتكى عرق النسا فلم يجد شيئاً يلائمه إلا ألبان كذا وكذا قال أُبىٌّ قال بعضهم يعنى الإبل فحرم لحومها، قالوا صدقت، قالوا: أخبرنا ما هذا الرعد، قال: ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيده أو فى يده مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمر الله، قالوا: فما هذا الصوت الذى يسمع، قال: صوته، قالوا: صدقت إنما بقيت واحدة وهى التى نبايعك إن أخبرتنا بها فإنه ليس من نبى إلا له ملك يأتيه بالخبر فأخبرنا من صاحبك؟ قال: جبريل عليه السلام، قالوا: جبريل ذاك الذى ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدوّنا، لو قلت ميكائيل الذى ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان، فأنزل الله عز وجل **﴿من كان عدواً لجبريل﴾** إلى آخر الاية[1].

نلاحظ فى هذا الحوار أن اليهود قد علقوا إيمانهم بالنبى ﷺ على أجوبته عمَّا سألوا وذلك فى قولهم «إن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبى واتبعناك» ولكن هل فعل اليهود ما وعدوا به وقطعوه على أنفسهم؟ الجواب أنهم لم يفعلوا حتى بعد أن أجابهمالنبى ﷺ ،بل ذهبوا يفتعلون عداوة مع الرسول الكريم الأمين جبريل عليه وسلم وجعلوا هذه العداوة التى اختلقوها هى العائق أمام ايمانهم بالنبى ﷺ .

والعجيب أن اليهود قد عللوا عداوتهم لجبريل بقولهم: ذاك الذى ينزل بالحرب والقتال والعذاب وكأن اليهود قومٌ أهل سلام ورحمة!.

أليس هذا من أعجب العجاب أن يقول اليهود هذا الكلام وهم الذين يثيرون الحروب والفتن فى كل مكان وزمان فما أشد وقاحة القوم وكذبهم

(١) صحيح. رواه أحمد (١/ ٢٧٤) والنسائى فى «عشرة النساء» (١٨٧).

اليهود يحاولون قتل النبى ﷺ

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «لما فتحت خيبر أهديت للنبى ﷺ شاة فيها سُمٌّ، فقال النبى ﷺ: اجمعوا لى من كان ها هنا من يهود، فجمعوا له، فقال: إنى سائلكم عن شىء فهل أنتم صادقىَّ عنه؟ فقالوا: نعم. قال لهم النبى ﷺ: من أبوكم؟ قالوا: فلان. فقال: كذبتم، بل أبوكم فلان قالوا: صدقت. قال: فهل أنتم صادقىَّ عن شىء إن سألت عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا. فقال لهم: مَنْ أهل النار؟ قالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها. فقال رسول الله ﷺ: اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبداً. ثم قال: هل أنتم صادقىَّ عن شىء إن سألتكم عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم. قال: هل جعلتم فى هذه الشاة سُمًّا؟ قالوا: نعم. قال: ما حملكم على ذلك؟ قالوا: إن كنت كاذباً نستريح، وإن كنت نبيًّا لم يضُرَّكَ»(١).

يبين هذا الحوار أن اليهود قومٌ ديدنهم الكذب والخداع فها هم يكذبون على النبى ﷺ، فلما فضحهم رسول الله ﷺ وبين كذبهم قالوا نصدق فى المرة الثانية حتى لايفتضح أمرنا مرة أخرى ولكن القوم أجابوا عن سؤال الرسول ﷺ الثانى بصلف ووقاحة، حيث زعموا أنهم لا يمكثون فى النار إلا قليلاً. وهذا الزعم منهم قد أبطله الله عز وجل فى قوله ﴿ **وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾(٢).

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ «يقول الله تعالى إخباراً عن اليهود فيما نقلوه وادّعوه لأنفسهم من أنهم لن تمسهم النار إلا أياماً معدودة ثم ينجون منها فردّ الله عليهم ذلك بقوله تعالى ﴿**قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا**﴾ أى بذلك فإن كان قد وقع عهد فهو لا يخلف عهده ولكن هذا ما جرى ولا كان ولهذا أتى (بأم) التى بمعنى (بل) تقولون على الله ما لا تعلمون من الكذب والافتراء عليه»(٣).

---

(١) رواه البخارى (٣١٦٩) كتاب الجزية والموادعة، باب: إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم.

(٢) البقرة: ٨٠.

(٣) تفسير ابن كثير (١/١١٨).

وأما سبب زعم اليهود أنهم لا يمكثون فى النار إلا أياماً معدودات فقد قال ابن عباس وقتادة إن اليهود قالوا لن تمسنا النار إلا أربعين ليلة وهى مدة عبادتهم العجل[1].

والعجيب فى أمر اليهود أنهم لم يكتفوا بهذا الزعم الكاذب بل أردفوه بقولهم عن المؤمنين إنهم سيخلفونهم فى النار!! فردَّ عليهم النبى ﷺ بقوله «اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبداً».

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله «قوله «اخسئوا فيها» هو زجر لهم بالطرد والابعاد، أو دعاء عليهم بذلك.

قوله «**والله لا نخلفكم فيها أبداً**» أى لا تخرجون منها ولا نقيم بعدكم فيها لأن من يدخل النار من عصاة المسلمين يخرج منها فلا يتصور أنه يخلف غيره أصلاً[2].

ثم بعد أن بين لهم النبى ﷺ كذبهم وفساد اعتقادهم وصل معهم فى الحوار إلى الجريمة الكبرى التى ارتكبوها وهى محاولة قتله ﷺ بدسهم السم له فى الشاة. والواضح من حوار الرسول ﷺ لهم أن اليهود كانوا قد أعدوا الخطة لقتل النبى ﷺ أعدوا لذلك جواباً يجيبون به النبى ﷺ إذا نجّاه الله من كيدهم. فقالوا فى وقاحة وتبجح لما سألهم النبى ﷺ «ما حملكم على ذلك» قالوا: إن كنت كاذباً نستريح وإن كنت نبيًا لم يضرك!! وهذه الإجابة منهم تحمل كثيراً من الخبث واللؤم، فهل كان اليهود يريدون اظهار نبوة النبى ﷺ عن طريق حفظ الله له أم كانوا يريدون قتله وهم يعلمون سلفاً أنه الرسول الخاتم ﷺ؟ ولكن الله عز وتعالى قد أبطل مكرهم وكيدهم. ﴿**وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**﴾[3].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/١١٨).

(٢) فتح البارى (١٠/٢٥٧).

(٣) فاطر: ٤٣.

حوار الرسول ﷺ مع اليهود
فى شأن الزانيين

عن عبد الله بن عـمر رضى الله عنهما أنه قال: إن اليـهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجـلاً منهم وامرأة زنيا فقـال لهم رسول الله ﷺ: ما تجدون فى التوراة فى شـأن الرَّجم؟ فقالوا: نفضحهم ويجـلدون. قال عبد الله بن سلام: كذبتم، إن فيـها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فـوضع أحدهم يده علي آية الرجم فقرأ ما قـبلها وما بعدها، فقال له عبـد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيـها آية الرجم، قالوا: صـدقت يا محمد، فـيها آية الرجم، فأمـر بهما رسول الله ﷺ فرُجما، فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة»[1].

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : «وقوله (إن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا) ذكـر السهيلى عن ابن العربى أن اسم المرأة بسرة بضم الموحـدة وسكون المهملة ولم يسم الرجل، وذكـر أبو داود السبب في ذلك من طريق الزهرى «سمعت رجلاً من مزينة ممن تبع العلم وكان عند سعيد بن المسيب يحدث عن أبى هريرة قال: زنى رجل من الـيهود بامرأة، فقال بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى هذا الـنبى فإنه بعث بالتخفيف، فإن أفتـانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتجـجنا بها عند الله وقلنا فتيا نبى من أنبـيائك. قال فأتوا النبى ﷺ وهو جالس في المسجد فى أصحابه فـقالوا: يا أبا القاسم ما ترى فى رجل وامرأة زنيا منهم» ونقل ابن الـعربى عن الطبرى والثعلبى عن المفسـرين قالوا «انطلق قوم من قريـظة والنضير مـنهم كعب بن الأشـرف وكعب بن أسـد وسعيد بن عـمرو ومالك بـن الصيف وكنانـة بن أبى الحقيق وشـاس بن قيس ويوسـف بن عازوراء فسألوا النبى ﷺ وكان رجل وامرأة من أشراف أهل خيبر زنيا واسم المرأة بسرة، وكانت خيبـر حينئذ حربًا فقـال لهم اسألوه، فنزل جبريل علـى النبى ﷺ فقال اجعل بينك وبينـهم ابن صوريا». . . ووقع عند مسلم من حديـث البراء «مُرّ على

---

(١) رواه البخارى (٦٨٤٠) كتاب الحدود، باب: أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام.

النبى ﷺ بيهودى محممًا مجلـودًا. فدعاهم فقال: هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكـم؟ قالوا: «نعم» وهذا يخالف الأول مـن حيث أن فيه أنهم ابـتدءوا السؤال قبل إقامة الحد، وفى هذا أنهم أقاموا الحـد قبل السؤال، ويمكن الجمع بالتعدد بأن يكون الذين سألوا عنهما غير الذى جلدوه، ويحتمل أن يكون: بادروا فجلدوه ثم بدا لهم فسألوا فاتفق المرور بالمجلود فى حال سؤالهم عن ذلك فأمرهم بإحضارهما فوقع ما وقع والعلم عند الله.

قوله (ما تجـدون فى التوراة فى شأن الرجـم؟ قال الباجى: يحتـمل أن يكون علم بالوحي أن حكم الرجم فيها ثابت على ما شرع لم يلحقه تبديل، ويحتمل أن يكون علم ذلك بإخبـار عبد الله بن سلام وغيره ممن أسلم منـهم على وجه حصل له بعد العلم بصحة نقلهم، ويحتمل أن يكون إنما سألهم عن ذلك ليعلم ما عندهم فيه ثم يتعلم صحة ذلك من قبل الله تعالى.

قوله (فقالو نفضحهم) بفتح أوله وثالثه من الفضيحة.

قولـه (ويجلدون) وقع بـيان الفـضيـحة فى رواية أيـوب عن نافع الآتيـة فى التوحيد بـلفظ «قالوا نسخم وجوههـما، ونخزيهما» وفى رواية عـبد الله بن عمر «قالوا: نسـود وجوههما ونحمـمهما ونخالـف بين وجوههما ويُطاف بـهما» وفى رواية عبد الله بن دينار «أن أحبارنا أحدثوا تحميم الوجه والتجبية» وفى حديث أبى هريرة «يحمم ويجبه ويجلد» والتجبية أن يحمل الزانيان علي حمار وتقابل أقفيتهما ويطاف بهما.. وقال المنذرى: يشبه أن يكون أصله الهمزة وأنه التجبئة وهى الردع والزجر يقال: جبأته تجـبيئًا أى ردعته، والتجبية أن ينكس رأسـه فيحتمل أن يكون من فعل به ذلك ينكس رأسه استحياء فسـمى ذلك الفعل تجبية. ويحتمل أن يكون من الجبه وهو الإستقبال بالمكروه وأصله من إصـابة الجبهة، تقول جبهته إذا أصبت جبهته كرأسته إذا أصبت رأسه، وقال الباجى: ظاهر الأمر أنهم قصدوا فى جوابهم تحريف حكم التوراة والـكذب على النبى ﷺ إما رجاء أن يحكم بينـهم بغير ما أنزل الله وإما لأنـهم قصدوا بتـحكيمه الـتخفيـف عن الزانيين واعتـقدوا أن ذلك يخرجهم عـما وجب عليهم، أو قصـدوا اختبار أمره، لأنه من المـقرر أن من كان نبيًا لا يُقر على باطل، فظهر بتوفيق الله نبيه كذبهم وصدقه ولله الحمد.

قوله (فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحـدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها) ونحوه في رواية عبـد الله بن دينار وفى رواية أيوب «فقالوا لرجل ممن يرضون: يا أعور اقرأ. فقرأ، حتى انتهـى إلي موضع منها فوضع يده عليه» واسم هذا الرجل عبد الله بن صوريا...

قوله (فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم) فى رواية عبد الله بن ديـنار «فإذا آية الرجم تحت يده» ووقع فى حديث الـبراء «فحده الرجم، ولكنه كثـر فى أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركـناه وإذا أخذنا الوضيع أقمنا عليـه الحد، فقلنا تعالوا فلنجـتمع على شيء نقيمه علي الـشريف والوضيع فجعلنا التـحميم والجلد مكان الرجم» ووقع بيان ما فـى التوراة من آية الرجم فى رواية أبى هريرة «المحصن والمحصنة إذا زنيا فقامت عليهما البينة رُجما، وإن كانت المرأة حبلي تـربص بها حتى تضع مـا فى بطنها» وفى حديث جـابر عند أبى داود «قالا نجد فى التوراة إذا شهد أربعة أنهم رأوا ذكره فى فرجها مثل الميل فى المكحلة رجما» زاد البزار من هذا الوجه «فإن وجـدوا الرجل مع المرأة فى بيت أو فى ثوبها أو على بطنها فهى ريبـة وفيها عقوبة، قال فما منعكمـا أن ترجموهما قالا: ذهب سلطاننـا فكرهنا القتـل» وفى حديث أبي هريرة «فـما أول ما ارتخصـتم أمر الله؟ قال: زنـى ذوا قرابة من المـلك فأخـر عنه الرجم، ثـم زنى رجل شريـف فأرادوا رجمه فحال قومه دونه وقالوا ابدأ بصاحـبك، فاصطلحوا على هذه العقوبة» وفى حديث ابن عباس عند الطـبرى «إنا كنا شببة وكان فى نسائنا حسـن وجه فكثر فينا فلم يقم له فصرنا نجلد» والله أعلم قوله (فـأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما) زاد في حديث أبي هريرة «فـقال النبى ﷺ فإنى أحكم بما فى الـتوراة» وفي حديث البراء «اللهم إنـى أول من أحى أمرك إذ أماتوه» ووقع فى حديـث جابر من الزيادة أيضاً «فدعا رسـول الله ﷺ بالشهود، فجاء بأربعة فشـهدوا أنهم رأوا ذكره فى فرجها مثل الميل فى المكحلة، فأمر بهما فرجما».

قوله (فـرأيت الرجل يحنى)... أى يمـيل قوله (يقيـها) بفتح أولـه ثم قاف تفسير لـقوله «يحنى» وفى رواية عبيد الله بن عـمر «فلقد رأيته يقيـها من الحجارة بنفسه» ولابن ماجه من هذا الوجه «يستـرها» وفى حديث ابن عباس عند الطبرانى

فلما وجد مس الحجارة قام على صاحبته يحنى عليها يقيها الحجارة حتى قتلا جميعاً فكان ذلك مما صنع الله لرسوله فى تحقيق الزنا منهما» وفى هذا الحديث من الفوائد: وجوب الحد على الكافر الذمى إذا زنى وهو قول الجمهور، وفيه خلاف عند الشافعية، وقد ذهل ابن عبد البر فنقل الاتفاق على أن شرط الإحصان الموجب للرجم الإسلام، ورُدّ عليه بأن الشافعية وأحمد لا يشترطان ذلك، ويؤيد مذهبهما وقوع التصريح بأن اليهوديين اللذين رجما كان قد احصنا كما تقدم نقله، وقال المالكية ومعظم الحنفية وربيعة شيخ مالك شرط الاحصان الاسلام، وأجابوا عن حديث الباب بأنه ﷺ إنما رجمهما بحكم التوراة وليس هو من حكم الإسلام فى شىء وإنما هو من باب تنفيذ الحكم عليهم بما فى كتابهم، فإن فى التوراة الرجم على المحصن وغير المحصن، قالوا وكان ذلك أول دخول النبى ﷺ المدينة، وكان مأمورا باتباع حكم التوراة والعمل بها حتى يُنسخ ذلك فى شرعه، فرجم اليهوديين على ذلك الحكم، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿**واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم**﴾ إلى قوله ﴿**أو يجعل الله لهن سبيلا**﴾ ثم نسخ ذلك بالتفرقة بين من أحصن ومن لم يحصن كما تقدم انتهى.

وفى دعوى الرجم على من لم يحصن نظر، كما تقدم من رواية الطبرى وغيره، وقال مالك: إنما رجم اليهوديين لأن اليهود يومئذ لم يكن لهم ذمة فتحاكموا إليه.

وتعقبه الطحاوى بأنه لو لم يكن واجباً ما فعله، قال: وإذا أقام الحد على من لا ذمة له فلأن يقيمه على من له ذمة أولى. وقال المازرى: يعترض على جواب مالك بكونه رجم المرأة وهو يقول: لا تقتل المرأة إلا إن أجاب ذلك كان قبل النهى عن قتل النساء وأيد القرطبى أنهما كانا حربيين بما أخرجه الطبرى كما تقدم، ولا حجة فيه لأنه منقطع، قال القرطبى: ويعكر عليه أن مجيئهم سائلين يوجب لهم عهداً كما لو دخلوا لغرض كتجارة أو رسالة أو نحو ذلك فإنهم فى أمان إلى أن يردوا إلى مأمنهم. قلت ولم ينفصل عن هذا إلا أن يقول السائل عن ذلك ليس هو صاحب الواقعة. وقال النووى: دعوى أنهما كان من حربيين باطلة بل كانا من أهل العهد، كذا قال، وسلَّم بعض المالكية أنهما كانا من أهل العهد واحتج بأن

الحاكم مخير إذا تحاكم إليه أهل الذمة بين أن يحكم فيهم بحكم الله وبين أن يعرض عنهم على ظاهر الآية(١)، فاختار ﷺ فى هذه الواقعة أن يحكم بينهم، وتعقب بأن ذلك لا يستقيم على مذهب مالك لأن شرط الإحصان عنده الإسلام وهما كانا كافرين، وانفصل ابن العربى عن ذلك بأنهما كانا محكمين له فى الظاهر ومختبرين ما عنده فى الباطن هل هو نبى حق أو مسامح فى الحق، وهذا لا يرفع الاشكال ولا يخلص عن الايراد. ثم قال ابن العربى: فى الحديث أن الإسلام ليس شرطاً فى الإحصان، والجواب بأنه إنما رجمهما لإقامة الحجة على اليهود فيما حكّموه فيه من حكم التوراة فيه نظر، لأنه كيف يقيم الحجة عليهم بما لا يراه فى شرعه مع قوله ﴿**وأن احكم بينهم بما أنزل الله**﴾ قال: وأجيب بأن سياق القصة يقتضى ما قلناه، ومن ثم استدعى شهودهم ليقيم الحجة عليهم منهم، إلى أن قال: والحق أحق أن يتبع ولو جاءونى لحكمت عليهم بالرجم ولم أعتبر الإسلام فى الإحصان. وقال ابن عبد البر: حد الزنى حق من حقوق الله، وعلى الحاكم اقامته، وقد كان لليهود حاكم وهو الذى حكم رسول الله ﷺ فيهما. وقول بعضهم إن الزانيين حكماه دعوى مردودة، واعترض بأن التحكيم لا يكون إلا لغير الحاكم، وأما النبى ﷺ فحكمه بطريق الولاية لا بطريق التحكيم: وأجاب الحنفية عن رجم اليهوديين بأنه وقع بحكم التوراة، وردّه الخطابى لأن الله قال ﴿**وأن احكم بينهم بما أنزل الله**﴾ وإنما جاءه القوم سائلين عن الحكم عنده كما دلت عليه الرواية المذكورة فأشار عليهم بما كتموه من حكم التوراة، ولا جائز أن يكون حكم الإسلام عنده مخالفاً لأنه لا يجوز الحكم بالمنسوخ، فدل على أنه إنما حكم بالناسخ.

وأما قوله فى حديث أبى هريرة «فإنى أحكم بما فى التوراة» ففى سنده رجل مبهم، ومع ذلك فلو ثبت لكان معناه إقامة الحجة عليهم، وهو موافق لشريعته، قلت: ويؤيده أن الرجم جاء ناسخاً للجلد كما تقدم تقريرة، ولم يقل أحد إن الرجم شرع ثم نسخ بالجلد ثم نسخ الجلد بالرجم، وإذا كان حكم الرجم باقياً منذ شُرع فما حكم عليهما بالرجم بمجرد حكم التوراة بل بشرعه الذى استمر حكم

(١) يعنى قوله تعالى ﴿سماعون للكذب أكالون للسحت، فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم، وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئًا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين﴾ [المائدة: ٤٢].

التوراة عليه ولم يقدر أنهم بدلوه فيما بدلوا وأما ما تقدم من أن النبى ﷺ رجمهما أول ما قدم المدينة لقوله فى بعض طرق القصة «لما قدم النبى ﷺ المدينة أتاه اليهود» فالجواب أنه لا يلزم من ذلك الفور، ففي بعض طرقه الصحيحة كما تقدم أنهم تحاكموا إليه وهو فى المسجد بين أصحابه، والمسجد لم يكمل بناؤه إلا بعد مدة من دخوله ﷺ المدينة فبطل الفور، وأيضاً ففى حديث عبد الله بن الحارث بن جزء أنه حضر ذلك وعبد الله إنما قدم مع أبيه مسلمًا بعد فتح مكة، وقد تقدم حديث ابن عباس وفيه ما يشعر بأنه شاهد ذلك.

وفيه أن المرأة إذا أقيم عليها الحد تكون قاعدة، هكذا استدل به الطحاوى، وقد تقدم أنهم اختلفوا فى الحفر للمرجومة، فمن يرى أنه يحفر لها تكون فى الغالب قاعدة فى الحفرة، واختلافهم فى إقامة الحد عليها قاعدة أو قائمة إنما هو فى الجلد، ففى الاستدلال بصورة الجلد على صورة الرجم نظر لا يخفى وفيه قبول شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض، وزعم ابن العربى أن معنى قوله فى حديث جابر «فدعا بالشهود» أى شهود الإسلام على اعترافهما، وقوله «فرجمهما بشهادة الشهود» أى البينة على اعترافهما، ورُدّ هذا التأويل بقوله فى نفس الحديث «إنهم رأوا ذكره فى فرجها كالميل فى المكحلة» وهو صريح فى أن الشهادة بالمشاهدة لا بالاعتراف، وقال القرطبى: الجمهور على أن الكافر لا تقبل شهادته على مسلم ولا على كافر لا فى حد ولا فى غيره ولا فرق بين السفر والحضر فى ذلك، وقبل شهادتهم جماعة من التابعين وبعض الفقهاء إذا لم يوجد مسلم، واستثنى أحمد حالة السفر إذا لم يوجد مسلم، وأجاب القرطبى عن الجمهور عن واقعة اليهود بأنه ﷺ نفذ عليهم ما علم أنه حكم التوراة وألزمهم العمل به اظهاراً لتحريفهم كتابهم وتغييرهم حكمه، أو كان ذلك خاصاً بهذه الواقعة كذا قال، والثانى مردود، وقال النووى: الظاهر أنه رجمهما بالاعتراف، فإن ثبت حديث جابر فلعل الشهود كانوا مسلمين وإلا فلا عبرة بشهادتهم، ويتعين أنهما أقرا بالزنا. قلت: لم يثبت أنهم كانوا مسلمين، ويحتمل أن يكون الشهود أخبروا بذلك لسؤال بقية اليهود لهم فسمع النبى ﷺ كلامهم ولم يحكم فيهم إلا مستنداً لما أطلعه الله تعالى فحكم فى ذلك بالوحى وألزمهم الحجة بينهم كما قال تعالى: ﴿**وشهد شاهد من أهلها**﴾ وأن شهودهم شهدوا عليهم عند أحبارهم بما ذكر فلما رفعوا الأمر إلى النبى ﷺ استعلم القصة على وجهها فذكر كل من حضره من الرواة

ما حفظه من ذلك، ولم يكن مستند حكم النبى ﷺ إلا ما أطلعه الله عليه، واستدل بعض المالكية على أن المجلود يجلد قائماً إن كان رجلاً والمرأة قاعدة لقول ابن عمر «رأيت الرجل يقيها الحجارة» فدل على أنه كان قائمًا وهى قاعدة، وتعقب بأنه واقعة عين فلا دلالة فيه على أن قيام الرجل كان بطريق الحكم عليه بذلك واستدل به علي رجم المحصن.. وعلى الاقتصار على الرجم ولا يضم إليه الجلد.. وكذا احتج به بعضهم، ولو احتج به لعكسه لكان أقرب لأنه فى حديث البراء عند مسلم أن الزانى جُلد أولاً ثم رجُم.. ولكن يمكن الانفصال بأن الجلد الذى وقع له لم يكن بحكم حاكم.

وفيه أن أنكحة الكفار صحيحة لأن ثبوت الاحصان فرع ثبوت صحة النكاح.

وفيه أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وفى أخذه من هذه القصة بُعدٌ.

وفيه أن اليهود كانوا ينسبون إلى التوراة ما ليس فيها ولو لم يكن مما أقدموا على تبديله وإلا لكان في الجواب حيدة عن السؤال لأنه سأل عما يجدون فى التوراة فعدلوا عن ذلك لما يفعلونه وأوهموا أن فعلهم موافق لما فى التوراة فأكذبهم عبد الله بن سلام.

وقد استدل به بعضهم على أنهم لم يسقطوا شيئًا من ألفاظها.. والاستدلال به لذلك غير واضح لاحتمال خصوص ذلك بهذه الواقعة فلا يدل على التعميم.

وكذا استُدل به على أن التوراة التى احضرت حينئذ كانت كلها صحيحة سالمة من التبديل لأنَه يطرقه هذا الاحتمال بعينه ولا يرده قوله «آمنت بك وبمن أنزلك» لأن المراد أصل التوراة.

وفيه اكتفاء الحاكم بترجمان واحد موثوق به.

واستدل به على أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا ثبت ذلك لنا بدليل قرآن أو حديث صحيح ما لم يثبت نسخه بشريعة نبينا أو نبيهم أو شريعتهم، وعلى هذا فيحمل ما وقع فى هذه القصة على أن النبى ﷺ علم أن هذا الحكم لم ينسخ من التوراة أصلاً[1]» أ.هـ.

(١) «فتح البارى» (١٢/ ١٧٤ ـ ١٧٩) ط دار الريان.

اليهود يسألون الرسول ﷺ ويُصدِّقون على كلامه ويشهدون بنبوته

عن أبى أسماء الرَّحَبىُّ أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ حدَّثه قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ . فجاء حَبْرٌ من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد! فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كاد يصرع منها فقال: لم تدفعنى؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله، فقال اليهودى: إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله. فقال رسول الله ﷺ «إن اسمى محمد الذى سمانى به أهلى. فقال اليهودى: جئت أسألك. فقال له رسول الله ﷺ : أينفعك شىء إن حدثتك؟ قال: اسمع بأذنى. فَنَكَتَ رسول الله ﷺ بعود معه. فقال: سل، فقال اليهودى: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ هم فى ظلمة دون الجسر، قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: فقراء المهاجرين قال اليهودى: فما تُحْفَتُهُمْ حين يدخلون الجنة؟ فال: زيادة كبد النون، قال: فما غِذَاؤُهُمْ على إثرها؟ قال: ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأْكُلُ من أطرافها، قال: فما شرابهم عليه؟ قال من عين فيها تسمى سلسبيلا، قال: صدقت. قال: وجئت أسألك عن شىء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبىٌّ أو رجل أو رجلان قال: ينفعك إن حدثتك؟ قال: أسمع بأذنى. قال: جئت أسألك عن الولد، قال: ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر. فإذا اجتمعا فعلا مَنِىُّ الرجل مَنِىَّ المرأة أذكرا بإذن الله. وإذا علا مَنِىُّ المرأة مَنِىَّ الرجل آنثا بإذن الله، قال اليهودى: لقد صدقت. وإنك لنبى ثم انصرف فذهب فقال رسول الله ﷺ : لقد سألنى هذا عن الذى سألنى عنه، وما لى عِلْمٌ بشىءٍ منه. حتى أتانى الله به[1].

قال النووى ـ رحمه الله ـ قوله ﷺ هم فى الظلمة دون الجسر، هو بفتح الجيم وكسرها لغتان مشهورتان والمراد به هنا الصراط.

قوله: فمن أول الناس اجازة، هو بكسر الهمزة وبالزاى ومعناه جوازاً وعبوراً.

---

(١) رواه مسلم (٧٠١) كتاب الطهارة، باب: بيان صفة منى الرجل والمرأة. والنسائى فى «عشرة النساء» (١٨٨).

قوله: فما تحفتهم: هى بإسكان الحاء وفتحها لغتان وهى ما يُهدى إلى الرجل ويُخص بـه ويلاطف. قـوله ﷺ: زيادة كـبد النـون،.. هو الحوت والـزيادة والزائدة شىء واحد وهو طرف الكبد وهو أطيبها.

قوله: فما غذاؤهم، روى على وجهين أحدهما بكسر الغين وبالذال المعجمة، والثانى بفـتح الغين وبالدال المهملة، قـال القاضى: هذا الثانى هو الصـحيح وهو رواية الأكثرين، قال: والأول ليس بشىء، قلـت: وله وجه تقديره ما غذاؤهم فى ذلك الوقت وليس المراد والسؤال عن غذائهم دائماً والله أعلم.

قوله: علـى إثرها، بكسر الهـمزة مع اسكان الثاء وبفـتحهمـا جميعًا لـغتان مشهورتان.

قوله ﷺ: مـن عين فيهـا تسمى سـلسبيـلا، قال جمـاعة من أهل الـلغة والمفسرين الـسلسبيل إسم للعين وقـال مجاهد وغيره هى شديـدة الجرى وقيل هى السلسلة اللينة.

قوله ﷺ: أذكرا بإذن الله وآنثا بإذن الله.

معنى الأول كـان الولد ذكراً ومعنى الثـانى كان أنثى وقوله آنثـا بالمد فى أوله وتخفيف النون، وقد روى بالقصر ،تشديد النون والله أعلم[1].

(١) «شرح النووى على صحيح مسلم» (٢/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨) ط دار الغد العربى.

اليهود يجاهرون بالدعاء على النبى ﷺ !!

عن عائشة رضى الله عنها قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السَّامُ عليك، ففهمتُها فقلت: عليكم السام واللعنة. فقال رسول الله ﷺ: مهلاً يا عائشة. فإن الله يحب الرفق فى الأمر كله، فقلت: يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: فقد قلت وعليكم»(١).

وفى رواية أخرى عنها رضى الله عنها قالت: أتى النَّبىَّ ﷺ أناسٌ من اليهود. فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم! قال وعليكم، قالت عائشة: قلت: بل عليكم السَّامُ والذَّامُ. فقال رسول الله ﷺ: يا عائشة لا تكونى فاحشة، فقالت: ما سمعت ما قالوا؟ فقال: أو ليس قد رددتُ عليهم الذى قالوا؟ قلت: وعليكم»(٢).

وعن جابر رضى الله عنه قال: سَلَّمَ نَاسٌ من يهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم! فقال: وعليكم، فقالت عائشة، وغضبت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: بلى قد سمعت. فرددت عليهم وإنا نجاب عليهم ولا يجابون علينا»(٣).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن يهودياً سَلَّم على رسول الله ﷺ فقال السام عليك قال: ردوه علىَّ قال: أقلت السام عليك؟ قال نعم فقال رسول الله ﷺ: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم»(٤).

وعنه رضى الله عنه أن يهودياً أتى النبى ﷺ وهو مع أصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال نبى الله ﷺ: أتدرون ما قال؟ قالوا نعم قال السلام

---

(١) رواه البخارى (٦٢٥٦) كتاب الاستئذان، باب: كيف الرَّدُّ على أهل الذمة بالسلام؟ - ومسلم (٥٥٥٢) كتاب السلام، باب: النهى عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم؟. والترمذى فى الاستئذان (٢٧٠١) باب: ما جاء فى التسليم على أهل الذمة.

(٢) رواه مسلم (٥٥٥٤).

(٣) رواه مسلم (٥٥٥٦).

(٤) صحيح. رواه أحمد (٣/ ١٤٠).

عليكم قال: ردوا عليّ الرجل فردوه فقال نبى الله ﷺ: قلت كذا وكذا؟ قال: نعم فقال نبي الله ﷺ: إذا سلَّم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا وعليك أى عليك ما قلت»[1].

وعنه رضى الله عنه قال: إن أصحاب النبى ﷺ قالوا للنبى ﷺ: إن أهل الكتاب يسلمون علينا، فكيف نَرُدُّ عليهم؟ قال: قولوا: وعليكم»[2].

وعن عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: إن اليهود إذا سلموا عليكم يقول أحدهم السام عليكم. فقل: عليك»[3].

وعن هشام بن زيد بن أنس بن مالك قال: سمعت أنس بن مالك يقول: مرَّ يهوديٌ برسول الله ﷺ فقال: السام عليك، فقال رسول الله ﷺ أتدرون ما يقول؟ قال السام عليمو قالوا: يارسول الله ألا نقتله؟ قال: لا، إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليك»[4] قال الحافظ ابن حجر رحمه الله ـ «قال ابن بطّال: فسَّر أبو عبيد السام بالموت» [5].

وقال أيضاً ـ رحمه الله ـ «نقل أبو بكر الفارسى أحد أئمة الشافعية فى كتاب الإجماع أن من سب النبى ﷺ مما هو قذف صريح كَفَرَ باتفاق العلماء، فلو تاب لم يسقط عنه القتل لأن حد قذفه القتل وحد القذف لا يسقط بالتوبة، وخالفه القفال فقال: كَفَرَ بالسب فيسقط القتل بالإسلام.

وقال الصيدلانى: يزول القتل ويجب حد القذف، وضعفه الإمام، فإن عرَّض فقال الخطابى: لا أعلم خلافاً فى وجوب قتله إذا كان مسلماً. وقال ابن بطال: اختلف العلماء فيمن سب النبى ﷺ، فأما أهل العهد والذمة كاليهود فقال ابن القاسم عن مالك: يقتل إلا أن يسلم وأما المسلم فيقتل بغير استتابة ونقل ابن المنذر

---

(١) صحيح. رواه أحمد (٣/ ٢١٤).

(٢) رواه مسلم (٥٥٤٩) وأبو داود (٥٢٠٧) والنسائى فى «اليوم والليلة» كما فى «تحفة الأشراف» (١/ ٣٢٩).

(٣) رواه البخارى (٦٢٥٧) ومسلم (٥٥٥٠) والترمذى (١٦٠٣) والنسائى فى «اليوم والليلة» كما فى «التحفة» (٥/ ٤٤٦).

(٤) رواه البخارى (٦٩٢٦) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم.

(٥) «فتح البارى» (١١/ ٤٥) ط دار الريان للتراث.

عن الليث والشافعي وأحمد واسحاق مثله فى حق اليهودى ونحوه، وعن الأوزاعى ومالك فى المسلم: هى ردة يستتاب منها. وعن الكوفيين إن كان ذمياً عزر وإن كان مسلماً فهى ردة. وحكى عياض خلافاً هل كان ترك من وقع منه ذلك لعدم التصريح أو لمصلحة التأليف؟ ونقل عن بعض المالكية أنه إنما لم يقتل اليهود فى هذه القصة لأنهم لم تقم عليهم البينة بذلك ولا أقروا به فلم يقض فيهم بعلمه. وقيل إنهم لما لم يظهروه ولووه بألسنتهم ترك قتلهم. وقيل إنه لم يحمل ذلك منهم على السب، بل على الدعاء بالموت الذى لابد منه، ولذلك قال فى الرد عليهم «وعليكم» أى الموت نازل علينا وعليكم فلا معنى للدعاء به، أشار إلى ذلك القاضى عياض... وعلى القول بوجوب قتل من وقع منه ذلك من ذمى أو معاهد فترك لمصلحة التأليف هل ينتقض بذلك عهده؟ محل تأمل. واحتج الطحاوى لأصحابه[1] بحديث الباب وأيده بأن هذا الكلام لو صدر من مسلم لكان ردة، وأما صدوره من اليهود فالذى هم عليه من الكفر أشد منه فلذلك لم يقتلهم النبى ﷺ. وتعقب بأن دماءهم لم تحقن إلا بالعهد وليس فى العهد أنهم يسبُّون النبى ﷺ فمن سبَّه منهم تعد العهد فينتقض فيصير كافراً بلا عهد فيهدر دمه إلا أن يسلم، ويؤيده أنه لو كان كل ما يعتقدونه لا يؤاخذون به لكانوا لو قتلوا مسلماً لم يقتلوا لأن من معتقدهم حل دماء المسلمين ومع ذلك لو قتل منهم أحداً مسلماً قُتل، فإن قيل إنما يقتل بالمسلم قصاصاً بدليل أنه يقتل به ولو أسلم، ولو سب ثم أسلم لم يقتل. قلنا الفرق بينهما أن قتل المسلم يتعلق بحق آدمى فلا يهدر، وأما السب فإن وجوب القتل به يرجع إلى حق الدين فيهدمه الإسلام، والذى يظهر أن ترك قتل اليهود إنما كان لمصلحة التأليف أو لكونهم لم يعلنوا به أو لهما جميعاً وهو أولى، والله أعلم [2].

(١) يعنى الأحناف.

(٢) «فتح البارى» (١٢/ ٢٩٣-٢٩٤).

الرسول ﷺ يدعو اليهود إلى الإسلام

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: بينما نحن فى المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه. حتى جئنا بيت المدارس[(١)] فقام رسول الله ﷺ فناداهم. فقال: يا معشر يهود أسلموا تسلموا. فقالوا قد بلغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ ذلك أريد أسلموا تسلموا، فقالوا قد بلغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: ذلك أريد فقال لهم الثالثة، فقال: اعلموا أن الأرض لله ورسوله وإنى أريد أن أُجْلِيَكُمْ[(٢)] من هذه الأرض فمن وَجَدَ منكم بماله شيئاً فَلْيَبِعْهُ وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله»[(٣)].

يبين هذا الحديث مدى وقاحة اليهود وعدم إذعانهم للحق فها هو الرسول ﷺ يدعوهم إلى الاسلام ويخبرهم أن فى الاسلام السلام وذلك فى قوله (أسلموا تسلموا) ولكن ما كان جوابهم عليه إلا أن قالوا (قد بلغت يا أبا القاسم) ومعنى هذا أن القوم يريدون الاستمرار على ما هم عليه من الكفر والضلال، فلما وجد النبى ﷺ منهم هذا الاصرار على ما هم عليه قال لهم: اعلموا أن الأرض لله ورسوله وإنى أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله» فهنا حكم عليهم النبى ﷺ ببيع أمتعتهم والخروج من المدينة وذلك اتقاءاً لشرورهم التى يبثونها بين المسلمين.

وعن ابن عمر أن يهود بنى النضير وقريظة حاربوا رسول الله ﷺ. فأجلى رسول الله ﷺ بنى النضير وأقرَّ قريظة ومَنَّ عليهم حتى حاربت قريظة بعد ذلك فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا أن بعضهم لحقوا برسول الله ﷺ فآمنهم وأسلموا وأجلى رسول الله ﷺ يهود المدينة كلهم: بنى قينقاع «وهم قوم عبد الله بن سلام» ويهود بنى حارثة. وكل يهودى كان بالمدينة»[(٤)].

(١) بيت المدارس: هو المكان الذى يدرسون فيه التوراة.. (٢) أى أخرجكم.

(٣) رواه البخارى (٦٩٤٤) كتاب الاكراه، باب: فى بيع المكره ونحوه فى الحق وغيره. ومسلم (٤٥١٠) كتاب المغازى، باب: اجلاء اليهود من الحجاز. وأبو داود فى الامارة (٣٠٠٣) باب: كيف كان اخراج اليهود من المدينة.

(٤) رواه البخارى (٤٠٢٨) كتاب المغازى، باب: حديث بنى النضير ومسلم (٤٥١١) كتاب المغازى، باب: اجلاء اليهود من الحجاز. وأبو داود فى «الإمارة» (٣٠٠٥) باب فى خبر النضير.

وكان سبب وقوع المحاربة أن اليهود نقضوا العهود، وغدروا بالنبى ﷺ.

روى أبو داود عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبى ﷺ: أن كفار قريش، كتبوا إلى ابن أُبَىٍّ ومن كان يعبد معه الأوثان من الأوس والخزرج، ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة، قبل وقعة بدر: إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله! لَتُقَاتِلُنَّهُ أو لتخرجن أو لَنُسيرنَّ إليكم بأجمعنا حتى نقتل قاتلتكم، ونستبيح نساءكم.

فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبى ومن كان معه من عبدة الأوثان اجتمعوا لقتال النبى ﷺ، فلما بلغ ذلك النبى ﷺ لقيهم فقال: «لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم؟ فلما سمعوا ذلك من النبى ﷺ تفرقوا فبلغ ذلك كفار قريش فكتب كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة[1] والحصون وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شئ - وهى الخلاخيل - فلما بلغ كتابهم النبى ﷺ أجمعت بنو النضير بالغدر فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: اخرج إلينا فى ثلاثين رجلاً من أصحابك، وليخرج منا ثلاثون حبراً، حتى نلتقى بمكان المنصف فيسمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا بك، آمنا بك فقص خبرهم فلما كان الغد، غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحصرهم فقال لهم: إنكم والله لا تأمنون عندى إلا بعهد تعاهدونى عليه، فأبوا أن يعطوه عهداً فقاتلهم يومهم ذلك، ثم غدا على بنى قريظة بالكتائب، وترك بنى النضير، ودعاهم إلى أن يعاهدوهم فعاهدوه فانصرف عنهم، وغدا على بنى النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء فجلت بنو النضير، واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها، فكان نخل بنى النضير لرسول الله ﷺ خاصة أعطاه الله إياها وخصه بها، فقال **﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾**[2] يقول: بغير قتال، فأعطى النبى ﷺ أكثرها للمهاجرين وقسمها بينهم، وقسم منها لرجلين من الأنصار وكانا ذوى

(١) الحلقة: الدروع، وقد يراد بها السلاح مطلقاً.
(٢) الحشر: ٦.

حاجة لم يقسم لأحد من الأنصار غيرهما، وبقى منها صدقة رسول الله ﷺ التى فى أيدى بنى فاطمة»(١).

ويذكر ابن اسحاق سبباً آخر لاجلاء بنى النضير وهو أن عامر بن الطفيل أعتق عمرو بن أمية لما قتل أهل بئر معونة عن رقبة كانت على أمه، فخرج عمرو إلى المدينة فصادف رجلين من بنى عامر معهما عقد وعهد من رسول الله ﷺ لم يشعر به عمرو، فقال لهما عمرو من أنتما؟ فذكرا أنهما من بنى عامر فتركهما حتى ناما فقتلهما عمرو وظن أنه ظفر ببعض ثأر أصحابه، فأخبر رسول ﷺ بذلك فقال: لقد قتلت قتيلين لأودينهما ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك القتيلين من بنى عامر الذين قتل عمرو بن أمية الضمرى، للجوار الذى كان رسول الله ﷺ عقد لهما، وكان بين بنى النضير وبين بنى عامر عقد وحلف فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم فى دية ذينك القتيلين قالوا نعم، يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه. ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ـ ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد ـ فمن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم فقال: أنا لذلك فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ فى نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمرو وعلى رضوان الله عليهم.

فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً إلى المدينة فلما استلبث(٢) النبى ﷺ أصحابه، قاموا فى طلبه، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه: فقال: رأيته داخلاً المدينة فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه ﷺ فأخبرهم الخبر، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، ثم سار بالناس حتى نزل بهم، وذلك فى شهر ربيع الأول، فحاصرهم ست ليال ونزل تحريم الخمر.

---

(١) صحيح. رواه أبو داود (٣٠٠٤) كتاب الخراج والإمارة والفئ، باب: فى خبر بنى النضير..

(٢) أى لما وجدوا أنه أطال اللبث وهم فى انتظاره عند بنى النضير. واللبث: الإقامة.

فتحصنوا منه فى الحصون، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه: أن يامحمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها؟

وقد كان رهط من بنى عوف بن الخزرج، منهم عدو الله عبد الله بن أبى بن سلول ووديعة ومالك بن أبى قوقل وسويد وداعر، قد بعثوا إلى بنى النضير: أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم، فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا، وقذف الله فى قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة ففعل. فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به. فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام، وخلوا الأموال لرسول الله ﷺ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، يضعها حيث شاء، فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار. إلا أن سهل بن حنيف، وأبا دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقراً فأعطاهما رسول الله ﷺ.

ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلان: يامين بن عمير، أبو كعب بن عمرو ابن جحاش، وأبو سعد بن وهب أسلما على أموالهما. فأحرزاها.

ونزل فى بنى النضير سورة الحشر بأسرها يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته وما سلط عليهم به رسول الله ﷺ وما عمل به فيهم، فقال تعالى[1] ﴿ **هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾ وذلك لهدمهم بيوتهم عن نجف أبوابهم إذا احتملوها ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ**﴾ وكان لهم من الله نقمة ﴿**لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا**﴾ أى بالسيف ﴿**وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ**﴾ مع ذلك. ﴿ **مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ**

(١) سورة الحشر ابتداء من آية ٢.

أُصُولِهَا﴾ واللينة: ما خالف العجوة من النخل ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أى فبأمر الله قطعت، لم يكن فساداً، ولكن كان نقمة من الله ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ يعنى من بنى النضير ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ[1] عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أى له خاصة ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ ما يوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب، وفتح بالحرب عنوة فلله وللرسول ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ يقول: هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين على ما وضعه الله عليه.

ثم قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ يعنى عبد الله بن أبى وأصحابه، ومن كان على مثل أمرهم ﴿يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعنى بنى النضير إلى قوله ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعنى بنى قيقناع، ثم القصة إلى قوله ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾[2].

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ عن السبب الأول فى إجلاء بنى النضير وهو حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك الذى رواه أبو داود ـ قال: «هذا أقوى مما ذكر ابن إسحاق من أن سبب غزوة بنى النضير طلبه ﷺ أن يعينوه فى دية الرجلين، لكن وافق ابن إسحاق جل أهل المغازى، فالله أعلم[3].

---

(١) قال ابن هشام: أوجفتم: حركتم وأتعبتم فى السير.

(٢) انظر «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/١٠٦ ـ ١١٤) بتحقيقى.

(٣) «فتح البارى» (٧/ ٣٨٥).

محاربة النبى ﷺ لبنى قريظة

وأما سبب محاربة النبى ﷺ لبنى قريظة فلنقضهم العهد الذى كان بينهم وبين النبى ﷺ ومحاربتهم له ومظاهرتهم قريشاً عن قتال النبى ﷺ .

فأمر الله نبيه ﷺ أن يتوجه إليهم ويحاربهم فعن عائشة رضى الله عنها قالت: «لما رجع النبى ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل عليه السلام فقال: قد وضعت السلاح، والله ما وضعناه فاخرج إليهم. قال: فإلى أين؟ قال: ها هنا وأشار إلى قريظة فخرج النبى ﷺ إليهم»[1].

وعن أنس رضى الله عنه قال «كأنى أنظر إلى الغبار ساطعًا فى زقاق بنى غنم، موكب جبريل حين سار برسول الله ﷺ إلى بنى قريظة»[2].

وقد امتثل النبى ﷺ لأمر ربه فخرج مسرعاً عقيب عودته من المسير إلى بنى قريظة فقال لأصحابه «لا يصلين أحدٌ العصر إلا فى بنى قريظة»[3] «فأتاهم النبى ﷺ فنزلوا على حكمه فردَّ الحكم إلى سعد بن معاذ. قال: فإنى أحكم فيهم أن تقتل المقاتلةُ، وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسَّم أموالهم»[4] وقال سعد بن معاذ رضى الله عنه «اللهم إنك تعلم أنه ليس أحدٌ أحب إلىَّ أن أجاهدهم فيك من قومٍ كذَّبوا رسولك وأخرجوه، اللهم فإنى أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا

---

(١) رواه البخارى (٤١١٧) كتاب المغازى، باب: مرجع النبى ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بنى قريظة، ومحاصرتهم إياهم. ومسلم (٤٥١٧) كتاب المغازى، باب: اخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب.

(٢) رواه البخارى (٤١١٨).

(٣) رواه البخارى (٤١١٩) ومسلم (٤٥٢١).

(٤) رواه البخارى (٤١٢٢) ومسلم (٤٥١٧).

(٥) قال الحافظ ابن حجر: «قال بعض الشُرَّاح: ولم يصب فى هذا الظن لما وقع من الحروب فى الغزوات بعد ذلك، قال فيحمل على أنه دعا بذلك فلم تقع الإجابة وأذخر له ما هو أفضل من ذلك. . أو أن سعداً أراد بوضع الحرب أى فى تلك الغزوة الخاصة لا فيما بعدها. وذكر ابن التين عن الداودى أن الضمير لقريظة، قال ابن التين: وهو بعيد جداً لنصه على قريش. قلت. . والذى يظهر لى أن ظن سعد كان مصيبًا، وأن دعاءه فى هذه القصة كان مجاباً، وذلك أنه لم يقع بين المسلمين وبين قريش من بعد وقعة الخندق حرب يكون ابتداء القصد فيها من المشركين، فإنه ﷺ تجهز إلى العمرة فصدوه عن دخول مكة وكاد الحرب أن يقع بينهم فلم يقع كما قال تعالى ﴿وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن =

وبينهم[٥] فإن كان بقى من حرب قريش شيء فابقنى له[١] حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها[٢] واجعل موتى فيها[٣]، فانفجرت من لَبَّته[٤]، فلم يرُعْهم [٥] ـ وفى المسجد خيمة من بنى غفار ـ إلا الدم يسيل إليهم فقالوا: يا أهل الخيمة، ما هذا الذى يأتينا من قِبَلكم؟ فإذا سعدٌ يغذو[٦] جرحه دماً فمات منها رضى الله عنه»[٧].

فذاك حين يقول الشاعر

ألاَ يا سعدُ سَعْدَ بنى مُعَاذٍ	فما فعلتَ قُرَيْظَةُ والنَّضيرُ
لَعَمْرُكَ إن سَعْدَ بنى مُعَاذٍ	غَدَاةَ تحمَّلوا لَهُوَ الصَّبُورُ
تركتُمْ قَدْركُمْ لا شيء فيها[٨]	وقدْرُ القَوْمِ حَامِيَةٌ تفُورُ[٩]
وقد قال الكريمُ أبو حُبابٍ	أقيموا قَيْنَقَاعُ ولا تسيرُوا
وقَدْ كانوا بِبَلَدتهِمْ ثقالاً	كما ثقلت بَمْيطان[١٠] الصُّخُورُ[١١]

= مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾ ثم وقعت الهدنة واعتمر ﷺ من قابل، واستمر ذلك إلى أن نقضوا العهد، فتوجه إليهم غازياً ففتحت مكة فعلى هذا فالمراد بقوله «أظن أنك وضعت الحرب» أى أن يقصدونا محاربين» اهـ «الفتح» (٧/ ٤٧٨ ـ ٤٧٨).

(١) أى للحرب. (٢) أى الجراحة.

(٣) هذا ليس من تمنى الموت المنهى عنه، لأن ذلك فيمن تمناه لضر نزل به، وهذا إنما تمنى انفجارها ليكون شهيداً.

(٤) اللَّبَّة: هى موضع القلادة من الصدر. (٥) أى لم يفزعهم ويأتهم بغتة.

(٦) يغذو: أى يسيل. (٧) رواه البخارى (٤١٢٢) ومسلم (٤٥١٩).

(٨) هذا مثل لعدم الناصر وأراد بقوله (تركتم قدركم) الأوس لقلة حلفاءهم .

(٩) أراد بقوله: وقدر القوم حامية تفور: الخروج لشفاعتهم فى حلفائهم بنى قينقاع حتى منَّ عليهم النبى ﷺ وتركهم لعبد الله بن أبى سلول، وهو أبو حباب المذكور فى البيت الآخر. وكانت قريظة حلفاء سعد بن معاذ فحكم بقتلهم فوبخه الشاعر بذلك.

(١٠) ميطان: هو اسم جبل من أرض الحجاز فى ديار بنى مزينة. وإنما قصد هذا الشاعر تحريض سعد على استبقاء بنى قريظة حلفائه ويلومه على حكمه فيهم ويذكره بفعل عبد الله بن أبى، ويمدحه بشفاعته فى حلفائهم بنى قينقاع.

(١١) رواه مسلم (٤٥٢٠) كتاب المغازى، باب جواز قتل من نقض العهد، وجواز انزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم.

قال ابن إسحاق: وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسا وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف الله فى قلوبهم الرعب.

وقد كان حيي بن أخطب دخل من بنى قريظة فى حصنهم، حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه.

فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإنى عارض عليكم خلالاً ثلاثاً، فخذوا أيها شئتم؛ قالوا: وما هى؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه لنبى مرسل، وأنه للذى تجدونه فى كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم؛ قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدا، ولا نستبدل به غيره؛ قال: فإذا أبيتم على هذه، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف[1]، لم نترك وراءنا ثقلا، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك، ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه، وإن نظهر فلعمرى لنجدن النساء والأبناء؛ قالوا: نقتل هؤلاء المساكين! فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم على هذه، فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة؛ قالوا: نفسد سبتنا علينا، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابهم ما لم يخف عليك من المسخ! قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما.

قال ابن إسحاق: ثم إن ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، وهم نفر من بنى هدل، ليسوا من بنى قريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هو بنو عم القوم، أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ.

قصة عمرو بن سعدى: وخرج فى تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظى، فمرَّ بحرس رسول الله ﷺ، وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة؛ فلما رآه قال: من

(١) مصلتين السيوف: مجردين لها، وقد أخرجناها من أغمادها.

هذا؟ قال: أنا عمرو بن سعدى ـ وكان عـمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدرهم برسول الله ﷺ ،وقال: لا أغدر بمحمد أبداً ـ فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهـم لا تحرمنى إقالة عثرات الكـرام، ثم خلى سبيله فخـرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله ﷺ بالمـدينة تلك الليلة، ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا، فذكـر رسول الله ﷺ شأنه؛ فقال: ذاك رجل نجاه الله بـوفائه وبعـض الناس يزعـم أنه كان أوثق بـرمة[1] فيـمن أوثق مـن بنى قريظة، حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فأصبحت رمته ملقاة، ولا يدرى أين ذهب؛ فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة، والله أعلم أى ذلك كان.

تحكيم سعد فى أمر بنى قريظة: قال فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فتواثبت الأوس، فـقالوا: يا رسول الله، إنهم موالـينا دون الخزرج، وقد فعلت فى موالـى إخواننا بالأمس ما قد علمت ـ وقـد كان رسول الله ﷺ قبل بنى قريظة قد حاصر بنى قينقاع، وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه، فسأله إياهم عبد الله بن أُبىٍّ بـن سلول، فوهبهم له ـ فلما كلمـته الأوس قال رسول الله ﷺ : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى؛ قال رسول الله ﷺ : فذاك إلى سعد بن معاذ وكان رسول الله ﷺ قد جعل بن معاذ فى خيمة لامرأة من أسلم، يقال لها رفـيدة، فى مسجده، كانت تداوى الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمةمن كانت به ضيعة من المسلمين،وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق: اجـعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب فلما حكمه رسول الله ﷺ فى بنى قريظة، أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من أدم، وكان رجلا جسيما جميلا، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ ، وهو يقولون: يا أبا عمرو، أحسن فى مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيـهم؛ فلما أكثروا عليه قال: لقد أنـى لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائـم. فرجع بعض من كـان معه من قومـه إلى دار بنى عبـد الأشهل، فنعى لهم رجال بنى قريظة، قبل أن يصل إليهم سعد، عن كلمته التى سمع منه.

(١) الرمة: الحبل البالى.

فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال رسول الله ﷺ: قوموا إلى سيدكم[1] - فأما المهاجرين من قريش، فيقولون: إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار، وأما الأنصار، فيقولون: قد عم بها رسول الله ﷺ - فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله ﷺ وقد ولاك أمر ماليك لتحكم فيهم؛ فقال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، أن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم: وعلى من هاهنا؟ فى الناحية التى فيها رسول الله ﷺ، وهو مُعرض عن رسول الله ﷺ إجلالا له؛ فقال رسول الله ﷺ نعم؛ قال سعد: فإنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذرارى والنساء.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن علقمة بن وقاص الليثى، قال: قال رسول الله ﷺ لسعد: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة[2].

قال ابن إسحاق: ثم استنزلوا، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة فى دار بنت الحارث، امرأة من بنى النجار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة، التى هى سوقها اليوم، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم، فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق، يخرج بهم إليه أرسالا[3]، وفيهم عدو الله حيى بن أخطب، وكعب بن أسد، رأس القوم، وهم ستمائة أو سبعمائة، والمكثر لهم يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد، وهو يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالا: يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ قال؟ أفى كل موطن لا تعقلون؟ ألا

---

(١) هكذا الحديث فى «صحيح البخارى» (٧/ ٤١١) وكثير من الناس يحرف الحديث عن لفظه الصحيح فيرونه بلفظ: «قوموا لسيدكم» ويستدلون بهذا اللفظ المحرف على جواز القيام للغير إذا قدم عليه وهذا القيام قد نهى عنه النبى ﷺ فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار» وقال أنس بن مالك رضى الله عنه ما كان فى الدنيا شخص أحب إليهم (يعنى الصحابة) رؤية من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له، لما كانوا يعلمون من كراهيته لذلك» رواه أحمد والترمذى بسند صحيح. وأما قول النبى ﷺ: «قوموا إلى سيدكم» فإنما قصد قوموا إلى سيدكم فأعينوه لأنه كان مصاباً فى أكحله. كما روت عائشة رضى الله عنها كما فى «المسند» بسند صحيح «قوموا إلى سيدكم فأنزلوه» وشتان بين القيامين!!.

(٢) رجاله ثقات: ورواه البخارى (٦/ ١٦٥) ومسلم (١٧٦٨) وأحمد (٣/ ٢٢) كلهم من طريق شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبى أمامة سهل بن حنيف عن أبى سعيد الخدرى بنحوه. والأرقعة: السموات.

(٣) أرسالاً: أى طائفة بعد طائفة.

ترون الداعى لا ينزع، وأنـه من ذهب منكم لا يرجع؟ وهو والله القـتل! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ .

وأتى بحيى بن أخطب عدو الله، وعليـه حلة له فقَّاحية[1] قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة[2] لئلا يسلبها، مجموعـة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ ، قال: أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك، ولكنه من يَخذل الله يُخذل، ثم أقبل على الناس، فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه.

فقال جبل بن جوال الثعلبى:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه	ولكنه من يخذل الله يخـــذل
لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها	وقلقل يبغى العز كل مقلقل[3]

قال ابن إسـحاق: وقد حـدثنى محمـد بن جعفـر بن الزبير، عـن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قـالت: لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة[4]، قالت: والله لعندى تحدث معى، وتضـحك ظهرا وبطنا، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها فى السـوق، إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانـة؟ قالت: أنا والله، قالت: قلت لهـا: ويلك؛ ما لك؟ قـالت: أقتل؛ قلت: ولـم؟ قالت: لحدث أحـدثته؛ قالت: فانطلـق بها، فضرب عنقها: فكـانت عائشة تقول: فوالله ما أنـسى عجبا منها، طيب نفسها، وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تقتل[5].

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل كل من أنبت منهم.

تقسيم الفىء: قال ابـن إسحـاق: ثم إن رسول الله ﷺ قـسم أمـوال بنى قريظـة ونساءهم وأبنـاءهم على المسلمـين، وأعلم فى ذلك اليـوم سهمـان الخيل وسهمان الرجال، وأخرج منها الخمس،فكان للفارس ثلاثة أسهم، للفرس سهمان

---

(١) فقَّاحية: أى تضرب إلى الحمرة.

(٢) الأنملة: طرف الأصبع. وقد يسمى الأصبع كله أنملة.

(٣) قلقل: تحرك.

(٤) ذكر بعض شـرّاح السيرة أن هذه المرأة هـى امرأة الحسن القـرظى وكانت قد ألقت رحـى على رجل من المسلمين من أطم من الآطام فقتلته.

(٥) إسناده صحيح.

ولفارسه سهم، وكان أول فيء وقعت فيه السُّهمان، وأخرج منها الخمس، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله ﷺ فيما وقعت المقاسم، ومضت السنة في المغازي.

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل سبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا.

ما نزل من القرآن في الخندق وبني قريظة: قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى في أمر الخندق، وأمر بني قريظة من القرآن، القصة في الأحزاب، يذكر فيها ما نزل من البلاء، ونعمته عليهم، وكفايته إياهم حين فرج ذلك عنهم، بعد مقالة من قال من أهل النفاق[1]: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**﴾. والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة. يقول الله تعالى: ﴿**إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا**﴾. فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وغطفان. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا. وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا**﴾ لقول معتب بن قشير إذ يقول ما قال. ﴿**وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا**﴾ لقول أوس بن قيظي ومن كان على رأيه من قومه: ﴿**وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا**﴾ أي المدينة. ﴿**ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ**﴾، فهم بنو حارثة، وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بني سلمة حين همتا بالفشل يوم أحد، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبدا، فذكر لهم الذي أعطوا من أنفسهم، ثم قال تعالى: ﴿**قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا. قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا. قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ**﴾: أي أهل النفاق ﴿**وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا**

(١) الأحزاب: ابتداء من آية ٩.

يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلا ﴾: أى إلا دفعا وتعذيرا: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ أى للضغن الذى فى أنفسهم﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾: أى إعظاما له وفرقا منه ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾: أى فى القول بما لا تحبون، لأنهم لا يرجون آخرة، ولا تحملهم حسبة، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده.

﴿ يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ قريش وغطفان ﴿ وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلا ﴾.

ثم أقبل على المؤمنين فقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾: أى لئلا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه، ولا عن مكان هو به.

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء.

يختبرهم به، فقال: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾: أى صبرا على البلاء وتسليما للقضاء، وتصديقا للحق، لما كان الله تعالى وعدهم ورسوله ﷺ ثم قال: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ ﴾: أى فرغ من عمله، ورجع إلى ربه، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾: أى ما وعد الله به من نصره، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه. يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا ﴾ أى ما شكوا وما ترددوا فى دينهم، وما استبدلوا به غيره. ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا. وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ ﴾: أى قريشا وغطفان: ﴿ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا. وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ أى بنى قريظة ﴿ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾ والصياصى: الحصون والآطام التى كانوا فيها.

﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾: أى قتل الرجال، وسبى الذرارى والنساء، ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ﴾: يعنى خيبر ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾[1].

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/١٤٢ ـ ١٥٢) باختصار.

محاربة النبى ﷺ لبنى قينقاع

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ «كان الكفار بعد الهجرة مع النبى ﷺ على ثلاثة أقسام: قسم وادعهم على أن لا يحاربوه ولا يمالئوا عليه عدوه وهم طوائف اليهود الثلاثة قريظة والنضير وقينُقاع[1]. وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش. وقسم تاركوه وانتظروا ما يئول إليه أمره كطوائف من العرب، فمنهم من كان يحب ظهوره فى الباطن كخزاعة وبالعكس كبنى بكر، ومنهم من كان معه ظاهراً ومع عدوه باطناً وهم المنافقون، فكان أول من نقض العهد فى اليهود بنى قينقاع فحاربهم فى شوال بعد وقعة بدر، فنزلوا على حكمه، وأراد قتلهم فاستوهبهم منه عبد الله بن أبىّ وكانوا حلفاءه فوهبهم له وأخرجهم من المدينة إلى أذرعات»[2].

قال ابن إسحاق ـ رحمه الله ـ «ولما أصاب الله عز وجل قريشًا يوم بدر جمع رسول الله ﷺ يهود فى سوق بنى قينقاع، حين قدم المدينة، فقال: يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشاً، فقالوا له: يا محمد لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا[3] فأنزل الله تعالى فى ذلك[4] ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ. قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[5].

---

(١) قال النووى: هو بفتح القاف ويقال بضم النون وفتحها وكسرها ثلاث لغات مشهورات.

(٢) «فتح البارى» (٧/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤) ط الريان.

(٣) رواه أبو داود (٣٠٠١) وحسنه الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٣٨٦).

(٤) سورة آل عمران: آية ١٢ ـ ١٣.

(٥) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ١٣٣).

محاربة النبى ﷺ ليهود خيبر[1]

إن طبائع اليهود الخبيثة متأصلة فيهم، ولا يمكنهم التخلى عنها أبداً، وهذا ما تمثل فى يهود خيبر، فإنهم بعد أن شاهدوا وعلموا بانتصارات الرسول ﷺ على من عادى دعوته، لم يذعنوا له ويؤمنوا به، أو على الأقل يكفوا عن عادة الغدر والخيانة المتأصلة فيهم، كلا إنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك بل «شرعوا يصلون حبالهم بغطفان والأعراب الضاربين حولهم ليؤلفوا ضد الإسلام جبهة أخرى، تكيد من جديد لمحمد وصحبه، لكن المسلمين كانوا أيقاظاً لهذه المؤامرات، فما إن عادوا من عمرة الحديبية آخر السنة السادسة حتى توجهوا فى المحرم من السنة السابعة إلى خيبر لكسر شوكة بنى اسرائيل بها»[2] .

قال ابن إسحاق: حدثنى الزهرى، عن عروة، عن مروان بن الحكم والمسور ابن مخرمة، أنهما حدثاه جميعاً قالا: انصرف رسول الله ﷺ عام الحديبية، فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة فأعطاه الله عز وجل فيها خيبر﴿ **وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ** ﴾[3] خيبر، فقدم رسول الله ﷺ المدينة فى ذى الحجة فأقام بها حتى سار إلى خيبر فى المحرم، فنزل رسول الله ﷺ بالرَّجيع: واد بين خيبر وغطفان، فتخوف أن تمدهم غطفان فبات به حتى أصبح، فغدا إليهم»[4] .

ولما قدم رسول الله ﷺ خيبر، صلَّى بها الصبح وركب المسلمون فخرج أهل خيبر بمساحيهم ومكاتلهم ولا يشعرون، بل خرجوا لأرضهم، فلما رأوا الجيش قالوا: محمد والله، محمد والخميس[5] ثم رجعوا هاربين إلى حصونهم، فقال النبى ﷺ : «**الله أكبر خرجت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح**

---

(١) خيبر: مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على بعد ستين أو ثمانين ميلاً من المدينة فى جهة الشمال، وهى الآن قرية فى مناخها بعض الوخامة، وذكر أبو عبيد البكرى أنها سميت باسم رجل من العماليق نزلها.

(٢) «فقه السيرة» للغزالى ص ٣٦٢.

(٣) سورة الفتح: الآية ٢٠.

(٤) اسناده صحيح.

(٥) الخميس: يعنى الجيش، وسمى خميسًا لأنه خمسة أقسام: ميمنة ومسيرة ومقدمة ومؤخرة وقلب.

المنذرين»[1] .

وأعطى الرسول ﷺ الراية يومئذ لعلى بن أبى طالب، ودار القتال بين المسلمين وبين يهود خيبر حتى فتحها النبى ﷺ عنوة، ولما رأى اليهود ما فُعل بهم طلبوا مصالحة النبى ﷺ وطلبوا من النبى ﷺ أن يبقيهم فى زراعة أرض خيبر على أن يكون الخراج مناصفة بين المسلمين وبينهم.

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قاتل أهل خيبر، فغلب على الأرض والنخل وألجأهم[2] إلى قصرهم فصالحوه على أن لرسول الله ﷺ الصفراء[3] والبيضاء[4] والحلقة[5] ولهم ما حملت ركابُهم على أن لا يكتموا ولا يُغَيِّبُوا شيئا فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد، فغيبوا مَسْكاً[6] لحُيَيِّ بن أخطب وقد كان قتل قبل خيبر، كان احتمله معه يوم بنى النضير حين أُجْليت النضير فيه حُلِيُّهُمْ. فقال النبى ﷺ لسَعْية[7] أين مَسْكُ حيى بن أخطب؟ قال أذهبته الحروب والنفقات، فوجدوا المسك، فقُتلَ ابن أبى الحقيق، وَسُبِيَ نساؤهم وزراريهم وأراد أن يجليهم، فقالوا يا محمد، دعنا نعمل فى هذه الأرض ولنا الشطر ما بدا لك ولكم الشطر، وكان رسول الله ﷺ يعطى كل امرأة من نسائه ثمانين وسْقًا من تمر وعشرين وسقاً من شعير»[8].

وعنه رضى الله عنه قال: لما افتتحت خيبر، سألت يهودُ الرسول ﷺ أن يُقرّهم على أن يعملوا على النصف مما خرج منها، فقال رسول الله ﷺ: «أقركم فيها على ذلك ما شئنا فكانوا على ذلك»[9] وأعطاهم النبى ﷺ «نخل خيبر وأرضها على أن يعتملوها من أموالهم ولرسول الله ﷺ شطر ثمرها»[10].

---

(١) رواه البخارى (٤١٩٨) ومسلم (٤٥٨٤) وأبو داود (٣٠٠٩) والنسائى (٦/ ١٣١) وأحمد (٣/ ١٠٢ و١٦١ و١٦٤ و١٦٨ و ٢٠٦ و ٢٤٦ و ٢٦٢) والترمذى (١٥٥٠).

(٢) أى اخطرهم. (٣) أى الذهب. (٤) أى الفضة.

(٥) أى السلاح والدروع (٦) المسك: حلى كانت تدعى مسك الجمل.

(٧) هو عم حيى بن أخطب.

(٨) صحيح. رواه أبو داود (٣٠٠٦) فى الخراج والامارة، باب: ما جاء فى حكم أرض خيبر.

(٩) رواه مسلم (٣٨٩٠) كتاب البيوع، باب: المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع. وأبو داود فى الخراج (٣٠٠٨) باب: ما جاء فى حكم أرض خيبر.

(١٠) رواه مسلم (٣٨٩١) وأبو داود (٣٤٠٩) والنسائى -(٧/ ٥٣).

الرسول ﷺ يأمر بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب

كان النبى ﷺ يعلم من قرائن أحوال اليهود والنصارى ومن خلال محاوراته مع الفريقين وقبل ذلك من خلال إخبار الله عنهم، أنهم لن يكفوا أبداً عن إشعال الحروب والفتن وبث الدسائس بين المسلمين حتى يردوهم عن دين الحق كما قال تعالى ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾(١) وقال تعالى: ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾(٢).

من أجل ذلك عزم النبى ﷺ على اخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب وأن لا يبقى فيها إلا من أعلن التوحيد لله عز وجل.

عن جابر رضى الله عنه قال: أخبرنى عمر بن الخطاب؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدَعَ إلا مسلماً**»(٣).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ أوصى بثلاث، قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم»(٤).

وعن أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال: آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ قال: «**أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب، واعلموا أن شر الناس الذين اتخذوا قبورهم مساجد**»(٥).

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٠.

(٣) رواه مسلم (٤٥١٣) كتاب المغازى، باب: إجلاء اليهود من الحجاز. وأبو داود فى الامارة (٣٠٣٠) باب: اخراج اليهود من جزيرة العرب. والترمذى فى السير (١٦٠٦ و ١٦٠٧) باب: ما جاء فى اخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب. وأحمد (١/ ٣٢).

(٤) رواه البخارى (٤٤٣١) ومسلم (٤١٥٤) وأحمد (١/ ٢٢٢) وأبو داود (٣٠٢٨).

(٥) صحيح. رواه أحمد (١/ ١٩٥) وأبو يعلى (٨٧٢).

عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينفذ وصية النبى ﷺ ويخرج اليهود والنصارى من جزيرة العرب

عن ابن عمر، أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز وأن رسول الله ﷺ لَمَّا ظهر على خيبر أراد اخراج اليهود منها. وكانت الأرض حين ظُهِرَ عليها لله ولرسوله وللمسلمين. فأراد اخراج اليهود منها، فسألت اليهود رسولَ الله ﷺ أن يُقرَّهم بها على أن يَكْفُوا عملها ولهم نصف الثمر فقال لهم رسول الله ﷺ : «**نقركم بها على ذلك ما شئنا**» فقروا بها حتى أجلاهم عمر إلى تيماء[2] وأريحاء»[3].

قال النووى ـ رحمه الله ـ: «قوله ﷺ : أقركم فيها على ذلك ما شئنا» وفى رواية الموطأ «أقركم ما أقركم الله».

قال العلماء: وهو عائد إلى مدة العهد، والمراد إنما نمكنكم من المقام فى خيبر ما شئنا، ثم نخركم إذا شئنا لأنه ﷺ كان عازماً على اخراج الكفار من جزيرة العرب، كما أمر به فى آخر عمره ﷺ وكما دل عليه هذا الحديث وغيره»[4].

وأما السبب الباعث لعمر بن الخطاب رضى الله عنه على إخراج اليهود من جزيرة العرب، هو أن اليهود قد عادوا مرة أخرى يمارسون طباع الغدر والخيانة مع المسلمين، وذلك أن عبد الله بن عمر بن الخطاب كان له أرض بخيبر، فخرج ذات يوم ليتفقد ماله، فإذا باليهود يعْدون عليه وألقوا به من فوق أحد البيوت، ففدعوا يداه ورجلاه.

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال «لَمَّا فدع[5] أهلُ خيبر عبد الله بن عمر قام

---

(١) قروا: أى سكنوا.

(٢) تيماء وأريحاء: هما موضعان مشهوران بقرب بلاد طيء على البحر فى أول طريق الشام من المدينة. قاله الحافظ فى «الفتح» (٥/ ٢٧) قال النووى: وفى هذا دليل على أن مراد النبى ﷺ بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب اخراجهم من بعضها وهو الحجاز خاصة لأن تيماء من جزيرة العرب، لكنها ليست من الحجاز، والله أعلم».

(٣) رواه البخارى (٢٣٣٠) كتاب الحرث والمزارعة، باب: إذا قال رب الأرض أقرك ما أقرك الله ـ ولم يذكر أجلاً معلوماً ـ فهو على تراضيهما. ومسلم (٣٨٩٢) كتاب البيوع، باب: المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع

(٤) «شرح النووى على صحيح مسلم» (٥/ ٢٣٣) ط دار الغد العربى.

(٥) الفدع: بفتحتين زوال المفصل، يقال: فدعت يداه إذا أزيلتا من مفاصلهما. وقال الخليل: الفدع عوج فى=

عمر خطيباً فقال: إن رسول الله ﷺ عامل يهـود خيبر على أموالهم وقال: نقركم ما أقركـم الله، وإن عبد الله بن عمـر خرج إلى ماله هنـاك فعُدِيَ عليـه من الليل فَفُدِعَتْ يداه ورجلاه، وليس لنا هناك عدو غيرهم، هَم عدونا وتُهَمَتُنا[1]، وقد رأيت إجلاءَهم. فلما أجمع[2] عمر على ذلـك أتاه أحد بنى أبى الحقيق فقـال: يا أمير المؤمنين، أتخرجنا وقد أقرنا محـمد ﷺ وعامَلَنا على الأموال وشرط ذلك لنا؟ فقال عمر: أظننت أنى نسيتُ قولَ رسول الله ﷺ: كيف بك إذ أُخْرِجْتَ من خيبر تعدو بك قلوصك[3] ليلة بعد ليلة. فقال: كان ذلك هُزَيْلة[4] من أبى القاسم.

فقال: كـذبت يا عدو الله. فأجلاهم عمـر، وأعطاهم قيمة مـا كان لهم من الثمر مالاً وإبلاً وعروضاً من أقتاب وحِبال وغير ذلك»[5].

قال الحافـظ ابن حجر ـ رحمه الله: «قـال المهلب: فى القصـة دليل على أن العداوة توضح المطالبة بالجناية كما طـالب عمر اليهود بفدع ابنه، ورجح ذلك بأن قال: ليس لنا عدو غيرهم، فعلَّق المطالبة بشاهد العداوة. وإنما لم يطلب القصاص لأنه فُدِعَ وهو نائم[6] فلم يعرف أشخاصهم، وفـيه أن أفعال النبى ﷺ وأقواله محمولة على الحقيقة حتى يقوم دليل المجاز»[7].

= المفاصل، وفى خلق الإنسان الثابت إذا زاغت القدم من أصلها من الكعب وطرف الساق فهو الفدع، وقال الأصمعى: هو زيغ فى الكف بينها وبين الساعد وفى الرجل بينها وبين الساق اهـ قال الحافظ فى «الفتح» (٥/ ٣٨٦).

(١) تهمتنا: أى الذين نتهمهم بذلك.

(٢) أجمع: أى عزم.

(٣) تعدو بك قلوصك: بفتح القاف وبالصاد المهملة: الناقـة الصابرة على السير، وقيل الشابة، وقيل أول ما يركب من إناث الإبـل، وقيل الطويلة القـوائم، وأشار ﷺ إلى اخراجـهم من خيبـر، وكان ذلك من إخباره بالمغيبات قبل وقوعها. اهـ. قال الحافظ فى «الفتح» (٥/ ٣٨٧).

(٤) هزيلة: تصغير الهزل وهو ضد الجد.

(٥) رواه البخارى (٢٧٣٠) كتاب الشروط، باب: إذا اشترط فى المزارعة «إذا شئتُ أخرجتُكَ».

(٦) عن عبـد الله بن عمر قال: خرجـت أنا والزبير والمقداد بن الأسـود إلى أموالنا بخيـبر نتعاهدهـا، فلما قدمناها تفرقنا فى أموالنا، قال: فعُدِىَ علىّ تحت الليل وأنا نائم على فراشى، ففدعت يداى من مرفقى، فلما أصبحت استصرخ علىَّ صاحباىَ فأتيانى فسألانى عمن صنع هذا بك؟ قلت: لا أدرى قال: فأصلحا من يدى، ثم قدموا على عمـر فقال: هذا عمل يهود، ثم قام فى الناس خطيـباً، فقال: أيها الناس، إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خـيبر على أنّ نخرجهم إذا شئنا، وقد عدوا عـلى عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كـما بلغكم مع عدوتهم على الأنصـار قبله، لا نشك أنهم أصحابهم، لـيس لنا هناك عدو غيرهـم فمن كان له مال بخـيبر فليلحـق به فإنى مخرج يهـود فأخرجهم» رواه أحـمد (١/ ١٥) واسناده صحيح.

(٧) «فتح البارى» (٥/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨).

القُرآن واليّهُود

تعاليت يارب العالمين. ما أعظم حكمتك، وأوسع علمك. فقد تعقبت اليهود فى محكم قرآنك، ونفذت إلى لب جوهرهـم، ووصفتهم بدقة وإحكام، فجاءت كلماتك عنـهم آية فى الإعجاز، لا يأتيهـا الباطل من بين يديها ولا مـن خلفها. وإننى كلما قرأت مـا جاء فى القرآن الكريم عن اليهود ازددت إيمانـاً بعظمة القرآن وبأنه تنزيل من العلى القدير.

لقد حلّل القـرآن الخلق اليهودى ووصف ما انطوى علـيه ذلك الخلق من جبن وقسوة وطغيان وكفر وكذب وافتراء ومكر وحقد وجشع وذلّة وانحطاط.

ولا أريد أن أحصى كل الذى نـزل فى القرآن الكريم عن اليهـود، وإنما أكتفى بذكر جانـب من الآيات الكريمة التى نزلت منذ أربـعة عشر قرناً لتـظل شاهدة أبد الدهر أن اليهود لا يغيّرون ما بأنفسهم من الصفات القبيحة والعادات الذميمة.

١ ـ الجبن:

وهو طبعهم الأصيل وغريزة راسخة فى نفوسهم مهما تظاهروا بعكسها.

﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾(١).

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾(٢).

إنهم جبناء بالفطرة، يهابون الموت، وخينما يحاربون يفضلون معارك الليل فى الظلام حتى لا يشاهـدوا أعداءهم ولا يراهم أعداؤهم جيداً، ويفضـلون الاحتماء بالمنازل والجـدر والبروج المشيـدة. فهم جبناء، مـهما حاولـوا إرتداء أثواب الأسد يستـرون بها جبن الكلاب أو الثـعالب. ألم يظهروا حـقيقة أمرهـم يوم أن دعاهم نبيّهم موسى لمحاربة شعب فلسطين..؟

---

(١) سورة الحشر: ١٤.

(٢) سورة البقرة: ٩٦.

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُون ﴾[1].

سبحانك اللهم، لقد ذكرت عين الحقيقة والصواب، إذ بعد ثلاثين قرناً أو تزيد، على قولهم الذى قالوه لموسى وجبنهم الذى أبدوه، قالوا لعبيدهم من الإنجليز فى أوائل القرن العشرين: خذوا لنا فلسطين واحكموها وأعيدوها لنا بعد أن تفعلوا كلى شيء لتهويدها، فنحن نريدها خاليةً من سكانها العرب.

٢ـ الإجرام والقسوة:

لم يعرف التاريخ من هم أقسى قلوباً من اليهود. ويحدثنا القرآن الكريم عن تلك القسوة وذلك الإجرام الذى التصق بهم منذ القدم، مصوراً قصتهم مع يوسف يوم تآمر عليه إخوانه غيرة وحسداً وأقنعوا أباهم أن يرسله معهم للهو واللعب، ثم نفذوا جريمتهم.

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾[2].

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾[3].

لم يوافق بعضهم على قتله واكتفوا بإلقائه فى بئر بعيدة، ثم عادوا لوالدهم يبكون..! مدعين أنه قد أكله الذئب، مبرزين قميصه وعليه دم كذب... إنها لوحة تصور الإجرام المتأصل فى نفوسهم وتصور المقدرة على التلوّن والادعاء والافتراء والقسوة.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[4].

(١) سورة المائدة: ٢٤.
(٢) سورة يوسف: ٩.
(٣) سورة يوسف: ١٥
(٤) سورة البقرة: ٧٤.

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُم ... ﴾[1].

وهذه القسوة التى وصفهم الله تعالى بها هى التى لازمتهم على مر الأجيال والعصور.

٣ـ الكفر وقتل الأنبياء:

وسجّل عليهم القرآن الكريم كفرهم بالأنبياء والرسل وقتلهم الأنبياء بغير حق.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[2].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[3].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[4].

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[5].

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾[6].

٤ـ الكذب والافتراء لزعزعة العقيدة:

لجأ اليهود فى محاربة الإسلام إلى الوسائل الدنيئة من كذب وافتراء وتضليل وتحريف لكلام الله تعالى، واستخدموا المال فى تحقيق مآربهم ورد المسلمين عن

(١) سورة المائدة: ١٣.
(٢) سورة البقرة: ٨٧.
(٣) سورة البقرة: ٩١.
(٤) سورة آل عمران: ٢١.
(٥) سورة النساء: ١٥٥.
(٦) سورة المائدة: ٧٠.

دينهم فسجل القرآن عليهم كل ذلك ليبقى شاهداً ودليلاً على أنهم كانوا وما زالوا يتحلون بتلك الصفات القبيحة.

﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾(١).

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢).

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(٣).

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾(٤).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾(٥).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾(٦).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلامِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(٧).

٥ـ المكر والكيد:

واتصف اليهود بالمكر والخداع والكيد، وعانى المسلمون الأول من صفاتهم هذه الشيء الكثير، ولم يزل المسلمون يعانون الويل من جراء مكر اليهود وكيدهم

(١) سورة آل عمران: ٦٩. (٢) سورة آل عمران: ٧١. (٣) سورة النساء: ٤٦.
(٤) سورة المائدة: ٤١. (٥) سورة الأنفال: ٣٦. (٦) سورة هود: ١٨.
(٧) سورة الصف: ٧، ٨.

وخداعهم.

﴿ ومَكَرُوا ومَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرين ﴾(١).

﴿ إن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحيط ﴾(٢).

﴿ وَإذْ يَمْكُرُ بكَ الَّذين كفَرُوا ليُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرينَ ﴾(٣).

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعندَ اللَّه مَكْرُهُمْ وَإن كَانَ مَكْرُهُمْ لتَزُولَ منْهُ الْجِبَال ﴾(٤).

﴿ أَفَأَمنَ الَّذينَ مَكَرُوا السَّيِّئَات أَن يَخْسفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ منْ حَيْثُ لا يَشْعُرُون ﴾(٥).

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذينَ يُسَارِعُونَ في الْكُفْرِ منَ الَّذينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمن قُلُوبُهُمْ ﴾(٦).

﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّه إنَّهُمْ لَمنكُمْ وَمَا هُم مّنكُمْ وَلَكنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾(٧).

وسبحان الله العظيم الذى سجل فى قرآنه الكريم خطط اليهود الماكرة فى تغيير دينهم فى الظاهر، من أجل تحقيق غاياتهم وتحطيم غيرهم ممن هم ليسوا على دينهم، ولقد شهد القرن العشرون خاصة عملية بارزة فى التاريخ الحديث، استطاع فيها اليهود الذين غيروا دينهم وتظاهروا باعتناق الإسلام أن يسهموا فى القضاء على الخلافة الإسلامية. وهم ما زالوا إلى يومنا هذا يحملون أسماء إسلامية فى تركيا ويسيطرون على مقدرات الحكم فى أنقرة واستامبول تحقيقاً لخطتهم فى القضاء على الإسلام فى معاقله القديمة. ولقد كانوا اليد القوية التى ساعدت أتاتورك ووجهته لإلغاء اللغة العربية ومحاربة الدين وتحويل البلاد إلى قاعدة يهودية أمريكية.

---

(١) آل عمران: ٥٤.
(٢) سورة آل عمران: ١٢٠.
(٣) سورة الأنفال: ٣٠.
(٤) سورة إبراهيم: ٤٦.
(٥) سورة النحل: ٤٥.
(٦) سورة المائدة: ٤١.
(٧) سورة التوبة: ٥٦.

٦ـ عبادة الذهب وأكل المال الحرام:

والذهب هو المعبود الأول والأخير عند اليهود، يقدسونه ويتبعون مختلف الوسائل والطرق لجمعه وتكديسه، ثم يستخدمونه فى تحقيق مآربهم وخططهم لحكم العالم وتدمير القيم والأخلاق والقضاء على الديانات السماوية غير اليهودية. لقد عبدوا الذهب والمال قبل موسى وفى أيام موسى، وهم ما زالوا يعبدونه حتى يومنا هذا.

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾(١).

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾(٢).

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾(٣).

﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾(٤).

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٥).

٧ ـ نقض العهود:

دأب اليهود منذ وجدوا على الأرض على نقض العهود والغدر بمن عاهدوهم.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾(٦).

لقد عانى الرسول الكريم ﷺ من غدرهم ونقضهم العهود مما حمله على

---

(١) الأعراف ١٤٨. (٢) سورة البقرة: ٩٢ (٣) سورة التوبة: ٣٤، ٣٥.
(٤) سورة المائدة: ٤٢. (٥) سورة المائدة: ٦٢. (٦) سورة الأنفال: ٥٥، ٥٦.

محاربتهم والقضاء على شرورهم وخيـاناتهم، وهم ما زالوا بعد أربعة عشر قرناً، رمزاً للغدر والخيانة ونقض العهود.

٨ ـ المكابرة:

برع اليهود فى المكـابرة والتطاول على الله سبحانه وتعالى فـتارة يدعون أنهم أغنى من الله، وتارة يصـفون الله بالبخل، وتارة أخرى يزعمـون أنهم أولياء الله. ومع أنهم فى حقيقة أمـرهم عصبة تمزقها الأهواء المتنافرة والبغـضاء المستحكمة فى نفوسهم ودمائهم، فـإنهم يتظاهرون أمام غيرهم وكأنهم كـتلة واحدة. ولقد كانوا كذلك منذ أيـام موسى ويشوع، شيعـاً وأحزاباً، وهم ما زالوا كذلك حـتى يومنا هذا. ومعلوم أن فى الدولة المغـتصبة إسرائيل أكثر من عشرة أحزاب مـتنافرة تسير الحياة السيـاسية للدولة المجرمة. وكل الانتـصارات التى يحققها اليـهود فى العالم ليست ناجمة عن قوتهم وإنما عن ضعف الشـعوب الأخرى من غير اليهود وجهلها وانخداعها وتفرق كلمتها أمام العدوان اليهودى الدائم.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾(١).

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(٢).

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٣).

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾.

---

(١) سورة آل عمران: ١٨١.

(٢) سورة المائدة: ٦٤.

(٣) سورة الحشر: ١٤.

٩ ـ المنكر والفحشاء:

عاش اليهود طوال حياتهم بؤرة فساد ومنكر وفحشاء، ينشرون الرذيلة فى العالم ويحاربون الفضيلة فى كل مكان.

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾(١).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(٢).

صدقت يارب العالمين فقد كان اليهود عبر التاريخ مصدراً للمنكر والفحشاء. إنهم أصحاب بيوت الدعارة فى العالم، ناشرو الانحلال الجنسى فى كل مكان. إنهم يسخرون المال الذى سرقوه من دماء الشعوب فى إشاعة الرذيلة من أجل تحطيم القيم الخلقية عند الناس كافة. إنهم أعداء ألداء لكل ما له صلة بالشرف الإنسانى. إنهم يحتقرون البشر ويستحلّون سرقة مال غير اليهود وتدنيس أعراضهم وتلويث شرفهم وامتصاص دمائهم.

١٠ ـ الربا:

لجأ اليهود من أجل سرقة مال الغير إلى وسيلة دنيئة أصبحت وقفاً عليهم ورمزاً على جشعهم، فبرعوا فيها وأتقنوا فنّها ونجحوا فى تخريب الحكومات والشعوب والأسر نتيجة تطبيقها، وتلك الوسيلة هى الربا. وحينما جاء الإسلام حاربهم فى أعزّ مالديهم فى الحياة، حاربهم فى جشعهم وحبهم لابتزاز مال غيرهم، حارب الربا عدو الإنسانية والسيف البتار الذى يقّطع به اليهود النظام الاجتماعى للبشر كافة.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ

(١) سورة المائدة: ٧٨، ٧٩.
(٢) سورة النور: ١٩.

اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾(١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ ﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾(٣).

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(٤).

١١ ـ الذلة والمسكنة والخزى:

سبحان الله العالم بحقيقة هذا الفريق من خلقه، فى ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم، لقد كتب الله على اليهود الذلة والمسكنة إلى يوم الدين. لقد أخزاهم الله تعالى بشر أعمالهم. ومهما يحاولوا أن يتظاهروا بالقوة والمنعة فإن كلمة الله هى العليا.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾(٥).

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ

(١) سورة البقرة: ٢٧٥، ٢٧٦.
(٢) سورة البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩.
(٣) سورة آل عمران: ١٣٠، ١٣١.
(٤) سورة النساء: ١٦٠، ١٦١.
(٥) سورة البقرة: ٦١.

بغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[1].

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾[2].

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[3، 4].

(١) سورة آل عمران: ١١٢. (٢) سورة الأعراف: ١٥٢. (٣) سورة البقرة: ٨٥.

(٤) «خطر اليهودية العالمية» عبدالله التل. ص٥٣ ـ ٦٦ باختصار يسير.

اليهود فى كتابهم «المقدس»

« الكتاب المقدس عند اليهود عبارة عن مجـموعة أسفار جمعها رجال المجمع الأكبر بعد الرجـوع من سبى بابل[1]. ويقسم إلـى ثلاثة أقسام: التـوارة، أسفار الأنبياء، الكتب أو الصحف.

وكلمة توراة مشتقة من الفعل أورى وعلّـم ومنها المعلّم وتعليم. ثم استعلمت لتعبّر عن شـريعة موسى عليه السلام كما ورد ذكرهـا فى القرآن الكريم. والتوراة عند اليهود تعنى الأسفار الخمسة المنـسوبة لنبيهم موسى وهى: التكوين، الخروج، اللاويون، العدد، التثنية.

ويشمل القسم الـثانى من كتابهم «المقدس» على أسـفار أخرى، هى: يشوع، قضـاة، صموئـيل الأول والثانـى، الملوك الأول والثانـى وتسمى أسـفار الأنبـياء المتقدمين، وأسفار: أشعيا، أرميـاء، حزقيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخـا، ناحوم، حبقوق، صفـنيا، حجى، زكريا، ملاخى، ويـطلق عليه أسفار الأنبياء الآخرين.

ويشتمل الـقسم الثالث من كتابـهم، على كتب حكم وآداب وأمثـال ومزامير وأخبار تاريخـية. سبعة منها كـبيرة هى: المزامير، أمثـال، أيوب، دانيال، عزرا، نحميا، أخبار الأيام الأوّل والثانى. وخمسة صغيرة هى: راعوث، نشيد الانشاد، الجامعة، المراثى، استير[2].

وقد تُرجمتْ هذه الأسفار إلى اليونانية فى زمن بطليموس فيلادلفوس (٢٨٥ ـ ٢٤٧) ق.م. بالإسكـندرية على يد سـبعين عـالماً من اليـهود. ثم ترجـمت إلى اليونانـية الحديثة وإلى اللاتـينية وإلى العربـية لأول مرة حوالى عام ٩٤٢ مـيلادية بواسطة العالم سعـديا الفيومى[3]. وتكوّن هـذه الأسفـار الأساس الأول للـدين اليهودى بما فيه من شريعة وتقاليد وطقوس.

(١) الدكتور هلال فارحى، أساس الدين، القاهرة ١٩٣٧، ص٨.
(٢) الدكتور فؤاد حسنين على، التوراة عرض وتحليل، دار المستقبل، القاهرة ١٩٤٦ ص١٤.
(٣) هلال فارحى، ص ١٠.

(١)
الوُعودُ الكاذبَة

تشكل هذه الوعود التى تكررت عشـرات المرات فى التوراة، حجر الزواية فى الخلق اليـهودى الذى تسبب فى شـقاء العالم وأورث الإنسـانية على مَرّ الـعصور والأحقاب داءً عضالاً استعصى على كل دواء.

ويبدأ سيل الوعود فى التوراة من أيام إبراهـيم الخليل عليه السلام، يوم اجتاز الأرض إلى شكيـم وكان يقطنهـا الكنعانيـون. « وظهر الرب لابرام وقال لـنسلك أُعطى هذه الأرض»[١]. وقال الرب لابرام بعد اعتزال لوط عنه. إرفع عينيك وانظر فى الموضع الذى أنت فـيه شمالاً وجنوبـاً وُشرقاً وغرباً. لأن جمـيع الأرض التى أنت ترى لك أُعطيها ولنسلك إلى الأبد. واجعل نسلك كتراب الأرض. . . »[٢].
وواضح من هذه الفقرة أن إبراهيم عليه السلام لم يكن ليستطيع أن يرى عن شماله وجنوبه وشرقه وغـربه، إلا فى حدود عشرة كيلو متـرات، فلا بُد إذن من صرف وعود أُخرى تكون أعمّ وأشمل تصل فى بعـض الأحيان إلى النيل جنوباً والفرات شرقاً، من أجل أن تتـسع للذرية الصالحة التى يصبـح عددها كتراب الأرض. . .
«فى ذلك اليـوم قطع الرب مع إبرام ميثـاقاً قائلاً. لنسلـك أعطى هذه الأرض من نهر مصـر إلى النهر الكبيـر نهر الفرات. القينـيين والقنزيين والقدمونيـين والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين. »[٣].

ولما كان لابُدّ للميثـاق منَ أن يشتمل على التزامات للطرفين المتـعاقدين، فقد رأى إله اليهـود أن يحول الميثـاق إلى عهد من طرف واحـد، ليتحلل اليـهود من الالتزامات التى تقيّدهم وتنظم سلوكهم فى الحياة. «فسقط إبرام على وجهه وتكلم الله معه قائلاً: أما أنا فهو ذا عهـدى معك وتكون أباً لجمهور من الأمم. . . وأقيم عهدى بينى وبينَك وبين نسلك من بعدك فـى أجيالهم عهداً أبدياً. لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك. وأعطى لك ولنسلـك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان

(١) تكوين اصحاح: ١٢:٧.
(٢) تكوين صح ١٣: ١٤ـ١٦.
(٣) تكوين صح ١٥: ١٨ ـ ٢٠.

ملكاً أبدياً. . . »[١].

ومن بعد إبراهيم عليه السلام إنهالت الوعود على ابنه اسحاق. «وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر. اسكن فى الأرض التى أقول لك. تغرب فى هذه الأرض. فأكون معك وأباركك. لأنى لك ولنسلك أُعطى جميع هذه البلاد وأفى بالقسم الذى أقسمت لإبراهيم أبيك. وأكثر نسلك كنجوم السماء. وأعطى نسلك جميع هذه البلاد وتتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض. »[٢].

ومن بعد إسحاق ابنه يعقوب الذى خرج من بئر سبع وذهب نحو حاران وصادف مكاناً وبات هناك. «ورأى حلما وإذا سلّم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء. وهو ذا ملائكة الله ونازلة عليها. وهو ذا الرب واقف عليها فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله اسحق. الأرض التى أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك. ويكون نسلك كتراب الأرض. »[٣].

ويبدو أن الحلم لم يكن كافيا فظهر الله ليعقوب وقال له: « اسمك يعقوب. لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك اسرائيل. . . . والأرض التى أعطيت إبراهيم واسحق لك أعطيها. ولنسلك من بعدك أعطى الأرض. »[٤].

وانهالت الوعود فيما بعد على موسى عليه السلام. « . . . . فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله. فقال الرب إنى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم. إنى علمت أوجاعهم. فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة واسعة. إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً. . . »[٥]. وكلم الرب موسى ثانية وكرر له العهد باعطاء بنى إسرائيل أرض كنعان. وفى هذه المرة أفصح الرب عن اسمه وقال إنه يدعى يهوه. « . . . وأنا ظهرت لإبراهيم واسحق ويعقوب بأنى الإله القادر على كل شيء. وأما باسمى يهوه فلم أُعرف عندهم. وأيضا أقمت معهم عهدى أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التى تغربوا فيها. . . »[٦].

---

(١) تكوين صح ١٧: ٣، ٤، ٧، ٨.
(٢) تكوين صح ٢٦: ٢ ـ ٤.
(٣) تكوين صح ٢٨: ١٢ ـ ١٤.
(٤) تكوين صح ٣٥: ١٠ ـ ١٢.
(٥) خروج صح ٣: ٦ ـ ٨
(٦) خروج صح ٦: ٣، ٤.

ويبدو أن الوعود العهود والمواثيق وحدها لم تكن كافية لدفع بنى إسرائيل إلى اقتحام أرض كنعان، فصدرت إليهم الوعود المشجعة مقرونة بالملاك الذى يسير أمام القوة الزاحفة. «وقال الرب لموسى اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذى أصعدته من أرض مصر إلى الأرض التى حلفت لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها. وأنا أرسل أمامك ملاكاً وأطرد الكنعانيين والأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين. إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً.»[1] «يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم فترثون شعوباً أكبر وأعظم منكم. كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم. من البرية ولبنان. من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربى يكون تخمكم»[2]. ورأينا كيف ضم يهوه أرض لبنان إلى الأرض الميعاد، ويبدو أن الطمع قد دبّ فى نفوس بنى إسرائيل حينما وصل بهم موسى إلى أطراف أرض كنعان، فانعكس الطمع وعداً جديداً ذكرته التوراة على لسان موسى، مفصحة عن الأطماع الجديدة التى تشمل لبنان والساحل إلى نهر الفرات. «الرب إلهنا كلّمنا فى حوريب قائلاً: كفاكم قعود فى هذا الجبل. تحولوا وارتحلوا وادخلو جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض كنعان ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات»[3].

ولكى يأخذ اليهود حريتهم كاملة ويتحللوا من أية التزامات أمام يهوه، حصلوا منه على (فرمان) يحذرهم فيه من الاعتقاد بأن اختيارهم شعباً له ناتج عن مزايا خلقية فيهم، بل يؤكد أنه اختارهم وهو يعلم أن لا خلاق لهم. « اسمع يا إسرائيل. أنت اليوم عابر الأردن لكى تدخل وتمتلك شعوباً أكبر وأعظم منك ومدناً عظيمة ومحصنة إلى السماء. قوماً عظاماً وطوالاً بنى عناق الذين عرفتهم وسمعت من يقف فى وجه بنى عناق. فاعلم اليوم أن الرب إلهك هو العابر أمامك ناراً آكلة. هو يبيدهم ويذلّهم أمامك فتطردهم وتهلكهم سريعاً كما كلمك الرب. لا تقل فى قلبك حين ينفيهم الرب إلهك من أمامك قائلاً. لأجل برى أدخلى الرب لأمتلك هذه الأرض. ولأجل إثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب من أمامك. ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم بل لأجل إثم أؤلئك

(١) خروج صح ٣٣: ١ ـ ٣.
(٢) تثنية صح ١١: ٢٣، ٣٤.
(٣) تثنية صح١: ٦، ٧.

الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك ولكى يفى بالكلام الذى.أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب. فـاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنك شعب صلب الرقبة»[١].

وفى مكان آخـر تقضى عدالة رب اليـهود يهوه أن يتسـامح مع شعبـه المختار حتى حين يتخلون عن شرعيته وينقضون فرائضه ولا يحفظون وصاياه. «لا أنقض عهدى ولا أغيّر ما خرج من شفتى. مرة حلفت بقدس إنى لا أكذب لداود. نسله إلى الدهر ويكون وكرسيه كالشمس أمامى. . . »[٢].

ويموت موسى عليه السلام ويخلفه يشوع بن نون، فتصدر وعود يهوه وأوامره صريحة مشجعة. «وكان بعد مـوت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً: مـوسى عبدى قد مات. فالآن قم اعبـر هذا النهر الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض الـتى أنا معطيها لهم أى لبنى إسـرائيل. كل موضع تدوسه بطون أقـدامكم لكم أعطيه كمـا كلمت لموسى. من البريـة ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهو الفرات جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم. »[٣].

ولما شاخ يشوع وتقدمت به الأيام صدرت أوامر يهوه بتقسيم أرض كنعان على أسباط بنـى إسرائيل، حتى تلك الـتى لم تطأها أقدامهم بـعد، قسمهـا يهوه على شعبه كما يفـعل مدير مساحة ماهر. «وقد بقيت أرض كثـيرة جداً للامتلاك. هذه هى الأرض الباقية. كـل دائرة الفلسطينيين وكل الجشوريين من الـشيحور الذى هو أمام مصر إلى تـخم عفرون شمالاً تحسب للكـنعانيين أقطاب الفلسطينـيين الخمسة الغزى والاشدودى والاشقلونى والجثى والعـقرونى والغويين. من اليمن كل أرض الكنعانيين ومغارة التى للصيـدونيين إلى أفيق إلى تخم الأموريين. وأرض الجبليين وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماة. جميع سكان الجبل من لبان إلى مسرفوث مايم جميع الصيدونيين. أنا أطردهم من أمام بنى إسرائيل. إنما أقسمها بالقرعة لإسرائيل ملكاً كما أمرتك. . . »[٤].

(١) تثنية صح ٩: ١ ـ ٦.
(٢) مزامير ٨٩: ٣٤ ـ ٣٦.
(٣) يشوع صح١: ١ـ ٤.
(٤) يشوع صح ١٣: ١ ـ ٦.

وفى عهد سليمان الحكيم يعده بأن يجعل الملك الأبدى فى نسله. «. . وعملت حسب كل ما أوصيتك وحفظت فرائضـى واحكامى فانى أقيم كرسىّ ملكك على إسرائـيل إلى الأبد كـما كلمت داود أبـاك قائلاً لا يعـدم لك رجل عن كـرسى اسرائيل. »[1].

وحين لم يحفظ الملك سـليمان وصايا يهوه ومال قلبـه عن الرب إله إسرائيل غضب عليه، ولكنه ساومه ودلله إكـراماً لأبيه داود، وجامله بأن أجل تمزيق دولته إلى ما بعد وفاته. «فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين وأوصاه فى هذا الأمر أن لا يتـبع آلهة أُخرى. فلم يحفظ ما أوصى به الرب. فـقال الرب لسليمـان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفـظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها فانى أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك. إلا أنى لا أفعل ذلك فى أيامك من أجل داود أبيك بل مـن يد ابنك أمزقها. على أنى لا أمزق منك المـملكة كلها بل أعطـى سبطاً واحداً لابنك لاجل داود عـبدى ولأجل أورشليم التى اخترتها. »[2].

تلك هى أهم الوعود التى وردت فى التوراة وتكررت فى مواضع كثيرة، ومن الواضح أنها تبدو لكل ذى عقل ومنطق وضميـر أنها هراء بثه حاخاميم اليهود فى أسفارهم التاريخية الدينية التى جُـمعت بعد قرون عديدة من وفاة إبراهيم واسحق ويعقوب وموسى وداود وسليمان.

(١) الملوك الأول صح ٩:٥.
(٢) الملوك الأول صح ١١: ٩ـ ١٣.

(٢)

الكُفر وَالتجديْف على الله

ظهـر منذ بضع سـنين كتـاب لعالم لبـنانى أثبت فـيه أن اليـهود لم يـكونوا موحدين، وإنما هم كيـفوا فكرة الآله حسب خصائص العزلة القـبلية والبداوة التى عاشو فيها[١]. واعتمد فى آرائه عـلى اكتشاف مدينة أوغاريت ومكتـبتها فى رأس شمرا بمنطقة اللاذقية. والدراسة (القراءة) الفاحصة للتوراة تدل على صحة ماذهب إليه العـالم اللبنانى. وتجعل الـباحث المحايد يعتـقد أن دين اليهود الـذى يمارسونه منبثقاً من توراتهم الحالية، دين عجـيب، والهم إله عجيب، إله جاهل حيناً وعالم آخر. إله ضـعيف تارة وجبـار تارة أخرى. إله يفضل سـكنى البيوت عـلى سكنى السحاب. . إله متعطش لسفك الدماء وحـرق شحومها لأن رائحة الشحوم المحروقة تبعـث فى نفسـه السرور والبهـجة. إله جـشع محبٍ للذهـب إلى حد بعـيد. إله ارستقراطى يحب أن يخدمه عشرات الألوف من الـكهنة، يسخرون أنفسهم لتنظيم عبادات وطقوس عجيبة ليس لها مثيل فى أىّ دين من أديان البشر وقد عدد اليهود آلهتهم فى التـوراة، فهم يركزون على يهوه بعد الخروج من مصـر، ويعتبرون هذا الإله خاصاً بهم. فتارة يسمونه إله إسرائيل وتارة أخرى رب الجنود. ويضفون على يهود الصفات الحـسية التى تنطبق على الإنسان تارة وعلى الـشىء المرعب العجيب تارة أخرى. وما أسهل فى نظر التوراة مـن المقابلات والمجادلات والمناجاة التى تتم بينهم وبين يهوه. حتى ليخيل للإنسان أن تلك المقابلات كانت أسهل من المقابلات التى تتم فى الوقت الحـاضر مع بعض حكام الدول وملوكها. فـهلمّ بنا إلى رحلة شاقة نتتبّع فيها عجائب الدين اليهودى ومواضع الكفر والتجديف على الله.

بدأ اليهـود فى التوراة عملية مـسخ ليهوه مشـعرينه أنهم أقوى منه كـى يسير معهـم حسب أهوائهم. «ثم قـام فى تلك الليلة وأخـذ امرأتيه وجاريـتيه وأولاده الأحد عشر وعبر مخاضة يبوق. أخذهم وأجازهم الوادى وأجاز ما كان له. فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه. فانخلع حـق فخذ يعقوب فى مصارعته معـه، وقال أطلقنى لأنه طلع الفجر. فقال لا أطلقك إن لم تباركنى. فقال له ما اسمك. فقال يعقوب. فقال لا

(١) نسيب وهيبه الخازن، أوغاريت، دار الطليعة، بيروت ١٩٦١، ص٤٠.

ويدعى اسـمك فيمـا بعد يعـقوب بل اسـرائيل. لأنك جاهـدت مع الله والناس وقدرت. وسأل يعقوب وقال أخبرنى باسمك. فقال لماذا تسأل عن اسمى. وباركه هناك. . .»[1]. .

وحين تمت المقابـلة بين يهوه وموسى، لم يـشأ موسى أن ينفرد بـهذا التكريم فاصطحـب معه شيـوخ بنى إسرائيل. «ثم صـعد موسى وهارون وناداب وابـيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل. ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صفة من العقيق الأزرق الشفـاف وكذات السمـاء فى النقاوة. ولـكنه لم يمد يده إلى اشـراف بنى إسرائيل. فرأوا الله وأكلوا وشربوا. . .»[1].

ويشرك اليهود ويعترفون بوجود آلهة كثيرة. « الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الالهة لأنه فى الشىء الذى بغوا به كان عليهم»[3]. كما أن هذا الإله رغب عن حياة الخيمة التى كان يتنقل بها مع بنى إسرائيل وأحب سكنى القصور. « وفى تلك اللـيلة كان كلام الـرب إلى ناثان قائلاً. اذهـب وقل لعبدى داود هـكذا قال الرب. أأنت تبنى لى بيتا لسكناى. لأنـى لم أسكن فى بيت منذ يوم أصعدت بنى إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم بل كنت أسـير فى خيمة وفى مسكن. فى كل ما سرت مع جـميع بنى إسرائيـل هل تكلمت بكلمـة إلى أحد قضاة إسـرائيل الذين أمرتهم أن يرعـوا شعبى إسرائيل قـائلاً لماذا لم تبنوا بيتـاً من الأرز. والآن فهكذا تقول لـعبدى داود. هكذا قـال رب الجنود. . .»[4]. وانشـغل داود فى الحـروب الطاحنة فلم يتم بناء مسكن الرب فى عهده، بل تم فى عهد ابنه سليمان. « حينئذ تكلم سليـمان. قال الرب إنه يسكن فى الـضباب. إنى قد بنيت لـك بيت سكنى مكاناً لسكناك إلى الأبد. . .»[5].

وما الحيلة ما دام الرب يشـتهى أن يسكن بيتاً معيناً وفى بـقعة معينة. . .«لأن الرب قد اختار صـهيون. اشتهاها مسكناً لـه. هذه هى راحتى (الرب) إلى الأبد. هاهنا أسكن لأنى اشتـهيتها. طعامها أباركه بـركة. مساكينها أشبع خبـزاً. كهنتها ألبس خلاصاً وأتقياؤها يهتفون هتافاً.»[6].

---

(١) تكوين صح ٣٢: ٢٢ ـ ٢٩.
(٢) خروج صح ٢٤:٩، ١٠.
(٣) خروج صح ١٨: ١١.
(٤) صموئيل الثانى صح ٧:٤ ـ ٨.
(٥) الملوك الثانى صح٨: ١٢، ١٣.
(٦) مزمور ١٣٢: ١٣ ـ ١٦.

وتنفتح فى عهد سليمان شهيـة يهوه إلى الضحايا. والمحرقات ورائحة الشحم «ولما انتهى سليمان من الصلاة نزلت النار من السماء وأكلت المحرقة والذبائح وملأ مجد الرب البيـت. ولم يستطع الكهنة أن يدخلوا بيت الـرب لأن مجد الرب ملأ بيت الرب. وكان جـميع بنى إسرائيـل ينظرون عند نزول النار ومـجد الرب على البيت وخروا على وجوههم إلى الأرض. . »[1].

وما دام أن يهـوه قد ارتضى أن يسكن بين دخـان المحرقات مسـتمتعـاً برائحة الشحم المحروق، فليبادر سليمان لى ارضاء نهم يهوه ويحقق له رغباته على أوسع نطاق. «ثم إن الملك وجميع إسرائيل معه ذبحوا الذبائح أمام الرب. وذبح سليمان ذبائح السلامة التى ذبحها للرب من البقـر اثنين وعشرين ألفاً ومن الغنم مائة ألف وعشرين ألـفاً فدشن الملك وجميـع بنى إسرائيل بيت الرب. فى ذلـك اليوم قدس الملك وسط الدار التى أمام بيت الرب لأنه قرب هناك المحرقات والتقدمات وشحم ذبائح الـسلامة لأن مـذبح النحـاس الذى أمام الـرب كان صغـيراً علـى أن يسع المحرقات والتقدمات وشحم ذبائح السلامة»[2].

ولقد اقترنت عملية الذبح التى كانت تتم ارضاء لشهوة يهوه بطقوس ومراسيم كهنوتية معـقدة عجيبة، ورد أغلبها فى سفـر الخروج أيام موسى وهارون. «وتأخذ الكبش الثانى ليضع هارون وبنوه أيديهـم على رأس الكبش. فتذبح الكبش وتأخذ من دمه وتجعل على شـحمة اذن هارون وعلى شحم آذان بنيه الـيمنى وعلى أباهم أيديهم اليمنى وعلى أباهم أرجلهم اليمنى. وترش الدم على المذبح من كل ناحية. وتأخذ مـن الدم الذى على المذبح ومـن دهن المسحـة وتنضح على هارون وثـيابه وعلى بنيه وثياب بنيه معه. فيتقدس هو وثيابه وبنوه وثياب بنيه معه. ثم تأخذ من الكبش الشحم والالية والشحم الذى يغشى الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشحم الذى عليهـما والساق اليمـنى. فإنه كبش ملء. ورغـيفاً واحداً من الخبـز وقرصاً واحداً من الخبز بزيت ورقاقة واحدة من سلة الفطير التى أمام الرب. وتضع الجميع فى يدى هارون وفى أيدى بنيه وترددها ترديـداً أمام الرب. ثم تأخذها من أيديهم وتوقـدهـا علـى المذبـح فـوق المحـرقـة رائحـة سـرور أمـام الـرب. وقـود هو للرب. . . »[3]. ويكتـفى الرب بالشـحوم المحـرقة وبالرغـيف والقرص بـالزيت،

(١) أخبار الأيام الثانى صح ٧: ١ ـ ٣.

(٢) الملوك الثانى صح٨: ٦٢ ـ ٦٤.

(٣) خروج صح ٢٩: ١٩: ٢٥.

وتذهب بقية أجزاء الذبائح إلى الكهان، فريضة أبدية تضمن لهم عيشاً دسماً وحياة رغدة. ويهـوه حريص على أن تقدم له الـقرابين فى أوقاتهـا طعاماً شهيـاً ورائحة سرور. «وكلم الرب موسـى قائلاً. أوصى بنى إسرائيل وقل لهم. قـربانى طعامى مع وقـائدى رائحـة سرورى تحـرصون أن تقـربوه لى فـى وقتـه. . . وفى رؤوس شهوركم تقربون محـرقة للرب ثورين ابنى بقر وكبشاً واحداً وسـبعة خراف حولية صحيحة. . وتيـساً واحداً ذبيحة خطية. . . وفى الشهـر الأول فى الرابع عشر من الشهر فـصح للرب. . . وتقربون وقوداً محرقـة للرب ثورين وكبشاً واحـداً وسبعة خراف. . . »[1]. وتستـمر الطقوس والذبـائح على مدار السنـة وبخاصة فى الشـهر السابع من أشهـرهم، حيث تقدم القرابين فى اليوم الأول من الـشهر، وكذلك فى الأيام الثانى والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والعاشر والخامس عشر من ذلك الشهر[2]. فهل يكتفى يهوه بكل هذه الدماء والشحوم الحيوانية.

يبدو من التوراة أن نهـم يهوه وشهوته للدم تطمعان فى ضـحايا بشرية. «وإذا رجل من بنى إسرائيل جـاء وقدم إلى اخوته المديانية أمام عـينى موسى وأعين كل جماعة بنى إسـرائيل وهم باكون لدى باب الرب خيمة الاجتـماع. فلما رأى ذلك شيـخاس بن العازر بـن هارون الكاهن قام مـن وسط الجماعـة وأخذ رمحـاً بيده ودخل وراء الرجل الاسرائيلى إلى القبة وطعن كليهما الرجل الاسرائيلى والمرأة فى بطنها. فامتنع الوباء عن بنى إسرائيل. . . »[3].

«فكان روح الرب على يفـتاح فعبر جلعـاد ومنسى وعبر مصفـاة جلعاد ومن مصفاة جـلعاد عبر إلى بنى عمـون. ونذر يفتاح نذراً للرب قـائلاً. ان دفعت بنى عمون ليدى. فالخـارج الذى يخرج من أبواب بيتى للقائى عنـد رجوعى بالسلامة من عند بنى عـمون يكون للرب وأصعده محـرقة. ثم عبر يفتاح إلـى بنى عمون لمحاربتهم. فـدفعهم الرب ليده. . . ثم أتى يفـتاح إلى المصفاة إلى بيتـه وإذا بابنته خارجة للقائه بدفوف ورقص. وهى وحيدة. لم يكن له ابن ولا ابنه غيرها. وكان لما رآها إنه مـزق ثيابه وقال آه يـا بنتى قد أحـزنتنى وصرت بين مكـدرى لأنى قد فتحت فمى إلى الرب ولا يمكننى الرجوع. فـقالت له. يا أبى هل فتحت فاك إلى الرب فافعل بى كما خرج من فيك. . . وكان عـند نهاية الشهرين انها رجعت إلى أبيها فـفعل بها نذره الذى نذر، وهى لـم تعرف رجلاً. . . »[4]. ولم ينج الكهنة

(1) عدد صح ٢٨: ١ ـ ٤.
(2) عدد صح ٢٩: ١ ـ ٤٠.
(3) عدد صح ٢٥: ٦ ـ ٨.
(4) قضاة صح ١١: ٢٩ ـ ٤٠.

أنفسهم من الذبح ليكونوا قرباناً ليهوه وارضاء له ليخف غضبه عن شعبه. «وكذا جميع بيوت المرتفعات التى فى مدن السامرة التى عملها ملوك إسرائيل للاغاظة أزالها يوشيا وعمل بها حسب جميع الاعمال التى عملها فى بيت ايل. وذبح جميع كهنة المرتفعات التى على المذبح وأحرق عظام الناس عليها ثم رجع إلى أورشليم. . . »(١).

ويهوه رب الجنود ورب اليهود ورب الحرب ظالم حقود، شرع قاعدة العقوبات المشتركة التى تأخذ البرىء بجريرة المذنب. «لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب الهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى. »(٢).

وبينما نجد داود «زمام المغنين» يصور ربه مرعباً مفزعاً. . «صعد دخان من أنفه ونار من فمه أكلت. جمر اشتعلت منه. طأطأ السموات ونزل وضباب تحت رجليه. ركب على كروب وطار وهف على أجنحة الرياح جعل الظلمة سترة حوله مظلته ضباب المياه وظلام الغمام. من الشعاع قدامه عبرت سحبه. برد وجمر ونار . أرسل سهامه فشتتهم وبروقاً كثيرة فأزعجهم. فظهرت أعماق المياه وانكشفت أسس المسكونة من زجرك يارب من نسمة ريح أنفك. . . »(٣). نجد تصويراً آخر يصفه بالندم. « وحينما أقام الرب لهم قضاة كان الرب مع القاضى وخلصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضى. لأن الرب ندم من أجل أنينهم بسبب مضايقتهم وزاحميهم. »(٤). «وأرسل الله ملاكاً على أورشليم لإهلاكها وفيما هو يهلك رأى الرب فندم على الشر وقال للملاك المهلك كفى الآن رد يدك. . . »(٥).

ولا يرى كهنة اليهود بأساً من وصم الههم يهوه بالجهل، وأن يسجلوا هذا الاعتراف على لسانه. فهو يطلب إليهم أن يضعوا علامة دموية على أبواب بيوتهم لتمييزها عن بيوت المصريين الذين يضربهم حينما يمر ليضرب أرض مصر. «ويكون لكم اليوم علامة على البيوت التى أنتم فيها. فأري الدم وأعبر عنكم. فلا يكون ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر. »(٦).

(١) الملوك الثانى صح ٢٣: ١٩، ٢٠.
(٢) خروج صح ٢٠: ٥.
(٣) مزمور ١٨: ٨ - ١٥.
(٤) قضاة ٢: ١٨.
(٥) أخبار الأيام الأول صح ٢١: ١٥.
(٦) خروج صح ١٢: ١٣.

(٣)

العُنصريّة والتَعَصُّب وَالانعزَال

وضع اليهود فى توراتـهم جذور العنصرية والتعصب والانـعزالية. ورسخ فى أنفسهم أنهم شـعب يهوه المختار، وأنهم أفضل شعـوب الأرض قاطبة، وأن يهوه اختارهم لأنه أحبـهم واصطفاهم. وقد بلغ من تعصبهم وصـلفهم وغرورهم أنهم اعتبروا يهوه إلهاً خاصاً بهم، احتكروه لأنفسهم وحرموا بقية الشعوب من الاتصال به. وتتدرج التوراة في غرس حب الانعزال والتعصب من أيام إبراهيم عليه السلام إلى آخر سطر فيها. «وقـال إبراهيم لعبده كبير بيته المسـتولى على كل ما كان له. ضع يدك تحت فـخذى. فأسـتحلفك بالـرب إله السماء وإلـه الأرض أن لا تأخذ زوجة لابنى من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم.»[١]. وكذلك فعل اسحق بابنه يعقوب.« فدعا اسحق يعقوب وباركه وأوصاه وقال له لاتأخذ زوجة من بنات كنعان. . .»[٢]. ثم تأتى أوامر يهوه إلى نبيه موسى. «احفظ ما أنا موصيك اليوم. ها أنا طـارد من قدامـك الأموريين والـكنعـانيين والحـثيين والـفرزيين والحـوريين واليبـوسيين احترز مـن أن تقطع عهداً مع سـكان الأرض التى أنت آت إليهـا لئلا يصيروا فخاً فـى وسطك. فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهـتم فتدعى وتأكل من ذبيحتهم وتأخذ من بناتهم لبنيك. فتزنى بناتهم وراء آلهتهن ويجعلون بنيك يزنون وراء آلهتهن.»[٣]. ثم يمضى يهوه فى حقن عقول شعـبه بسموم العنصرية والغرور والتعالى والابتعاد عن البشر. «وان سمـعت سمعاً لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصـاياه التى أنا أوصيك بها اليوم يجعلك الرب إلهك مـستعلياً على جميع قبائل الأرض.»[٤].

«ولكن إذا رجعتم ولصقـتم ببقية الشعوب أولئك الباقـين معكم وصاهرتموهم ودخلتم إلـيهم وهم إليـكم. فاعلمـوا يقيناً أن الرب إلـهكم لايعود يـطرد أولئك الشعوب من أمـامكم فيكونوا لكم فخـاً وشركاً وسوطاً على جوانبـكم وشوكاً فى أعـينكـم حتـى تبـيدوا عـن تلـك الأرض الصـالحة الـتى أعطـاكم إياهـا الرب إلهكم.»[٥].

---

(١) تكوين صح ٢٤:٢، ٣.
(٢) تكوين صح ٢٨: ١.
(٣) خروج صح ٣٤: ١١ ـ ١٦.
(٤) تثنية صح ٢٨ : ١.
(٥) يشوع صح ٢٣: ١٢، ١٣.

ويؤكد يهوه غرامه ومـحبته والتصاقه بشعبه المختـار. « لاتقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم. بنـتك ولا تعط لابنه وبنته لا تأخذ لابنك... لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك. إياك قد اختـار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جمـيع الشعـوب الذين على وجـه الأرض. ليس من كونـكم أكثر مـن سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكـم أقل من سائر الشعوب. بل من محبة الرب إياكم وحـفظه القسم لآبـائكم أخرجكم الرب بـيد شديدة وفداكـم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر.»(١).

«ولكن الرب إنما التـصق بآبائك ليحبهـم فاختار من بعدهم نـسلهم الذى هو أنتم فوق جميع الشعوب كما فى هذا اليوم...»(٢).

ويطبّق عـزرا كاهن اليهود وجـامع توراتهم تعاليـم يهوه علميـاً، حين عاد مع يهود السبـى إلى أورشليم ليجد أن اليهـود المساكين الذين تخلفوا بعـد السبى إلى بابل، قـد تزوجوا من نسـاء شعب فلسطين غـير اليهـودى. وتلك كانت الـطامة الكبرى عند عزرا ورفاقه من كهان اليهود. فأقـدم على تنفيذ عملية اجرامية ظالمة، وفصل بين الأزواج اليهود وزوجـاتهم الفلسطينيات وأطفالهم. «فـاجتمع كل رجال يهوذا وبنيامين إلى أورشليم فى الثلاثة الأيام أى فى الشهر التاسع فى العشرين من الشهر وجلس جميع الشعب فى سـاحة بيت الله مرتعدين من الأمر ومن الأمطار. فقام عزرا الكاهن وقال لهم. انكم قد خنتـم واتخذتم نساء غريبة لتزيدوا على إثم اسرائيل. فاعـترفوا الآن للرب إله آبائكم واعـملوا مرضاته وانفصـلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبـة. فأجاب كلّ الجماعة وقالوا بصوت عظيـم كما كلمتنا كذلك نعمل. إلا أن الشعب كثيـر والوقت وقت أمطار ولا طاقة لنا على الوقوف فى الخـارج والعمل لـيس ليوم واحـد أو لاثنين لأنـنا قد أكـثرنا الذنـب فى هذا الأمر...»(٣). ويتغنى نـبيهم داود فى مزامـيره، مردداً أوامر يهوه فـى أن تخضع ملوك الأرض لملك أورشليم وتقدم له الهدايا. «قد أمر إلهك بعزك. أيديا الله هذا الذى فعلته لنا. من هيكلك فوق أورشليم تقدم ملوك هدايا.»(٤).

---

(١) تثنية صح٧: ٢ ـ ٨.
(٢) تثنية صح ١٠: ١٥.
(٣) عزرا صح ١٠: ٩ ـ ١٣.
(٤) مزمور ٦٨: ٢٨، ٢٩.

بيد أن تـقديم الهدايـا لا يشبع نهـم يهوه إله اليـهود، فلا بـد إذن من إجراء حاسم وعنيف. «هللويا. غنوا للرب ترنيمة جديدة تـسبيحته فى جماعة الاتقياء. ليفرح إسرائيل بخالقه. ليبتهج بنو صـهيون بملكهم. ليسبحوا اسمه برقص. بدف وعود ليرنمـوا له. لأن الرب راض عن شعبه. يجـمل الودعاء بالخلاص. ليـبتهج الاتقاء بمجد ليرنمـوا على مضاجعهم. تنويهات الله فى أفـوافهم وسيف ذو حدين فى يدهم. ليصنعـوا نقمة فى الأمم وتأديبات فى الشعوب. لا سر مـلوكهم بقيود وشرفـائهم بكبـول من حديد. ليـجروا بهم الحـكم المكتوب. كـرامة هذا لجـميع أتقيائه. هللويا.»(١). ولم لا؟ أليس هـو الشعب المدلـل الذى تغفـر ذنوبه مهـما كانت كبيرة. «لأنى أنا معك يقول الرب لاخلصك. وإن أفنيت جميع الأمم الذين بددتك إليهم فأنت لا أفنيك بل أؤدبك بالحق ولا أبرئك تبرئة.»(٢).

وإله اليهود هذا، وقف عليهم لا يسمـحون له أن يتصل بسواهم من الشعوب لهدايتها، كما لا يسمحون لتلك الشعوب أن تتصل به لتتعرف إليه وتعبده. وبدأت عملية الاحتـكار هذه من أيام موسى وفرعون. «فقال فـرعون من هو الرب اسمع لقوله فأطلق إسرائيل. لا أعرف الرب وإسرائيـل لا أطلقه. فقالا إله العبرانيين قد التقانا. فنـذهب سفر ثلثة أيام فى البـرية ونذبح للرب إلهنا لئلا يصـيبنا بالوباء أو السيف.»(٣).

«فدخل موسى وهارون إلـى فرعون وقالا له هكذا يقول الرب إلـه العبرانيين إلى متى تأبى أن تخضع لى. أطلق شعبى ليعبدونى.»(٤).

«فالآن أن سمعتم لـصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خـاصة من بين جميع الشعوب. فإن لى كل الأرض. وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة.»(٥).

وعبـثاً يحاول الشـعب الفلسطيـنى أن يتقرب إلى شـعب يهوه ليـستفيـد منه ويفيده، وأبـت العنصرية المدمرة أن تـقبل العون من غيـر اليهود حتى فـى أعمال السخرة لبـناء هيكلهم أيام عزرا. «ولما سـمع أعداء يهوذا وبنيامين أن بـنى السبى يبنون هيكلاً للـرب إله إسرائيل تقدموا إلى زربابل ورؤوس الآبـاء وقالوا لهم نبنى

(١) مزمور ١٤٩: ١ ـ ٩. (٢) أرميا صح ٣٠: ١١. (٣) خروج صح ٥: ٢، ٣.
(٤) خروج صح ١٠: ٣. (٥) خروج صح ١٩: ٥، ٦.

معكم لأننا نظيركم نطلب إلهكم وله قد ذبحنا من أيام أسر حدون ملك أشور الذى أصعدنا إلى هنا. فقال لهم زربابل ويشوع وبقية رؤوس آباء إسرائيل ليس لكم ولنا أن نبى بيتاً لإلهنا ولكننا نحن وحدنا نبنى للرب إله إسرائيل كما أمرنا الملك كورش ملك فارس. . . »[1].

ولاننسى ونحن فى مجال الحديث عن احتكار الإله، قرار يهوه بأن ذنب شعب فلسطين لا يغتفر لأن ذلك الشعب لم يسارع إلى ملاقاة اليهود الزاحفين لإحتلال وطنه، حاملاً الخبز والماء.

«فى ذلك اليوم قرىء فى سفر موسى فى آذان الشعب ووجد مكتوباً فيه أن عمونيا وموأبيا لا يدخل فى جماعة الله إلى الأبد. لأنهم لم يلاقوا بنى إسرائيل بالخبز والماء بل استأجروا عليهم بلعام لكى يلعنهم. »[2].

ولم ينس يهوه وهو يخص شعبه المختار على التعصب والانعزال وعدم عقد العهود والمواثيق مع غير اليهود، لم ينسى التهديد بفرض العقوبات الصارمة على من يخالف أوامره وتعاليمه. « ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التى أنا أوصيك بها اليوم تأتى عليك جميع اللعنات وتدركك. ملعوناً تكون فى المدينة وملعوناً تكون فى الحقل. ملعونة تكون سلتك ومعجنك. ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك نتاج بقرك واناث غنمك. ملعوناً تكون فى دخولك وملعوناً تكون فى خروجك. يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر فى كل ما تمتد إليه يدك لتعلمه حتى تهلك وتفنى سريعاً من أجل سوء أفعالك إذ تركتنى. يلصق بك الرب الوباء حتى يبيدك عن الأرض التى أنت داخل إليها لكى تتملكها. يضربك الرب بالسل والحمى والبرداء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول فتتبعك حتى تفنيك. . ويضربك الرب بقرحة مصر وبالبواسير والجرب والحكة حتى لا تستطيع الشفاء. يضربك بجنون وعمى وحيرة قلب. . إلخ»[3].

هذا جزاء يسير من المصائب واللعنات التى تنصب على اليهودى المخالف المخالف على وصايا يهوه. وكثير مثل هذا موزع فى أسفار التوارة. فمن ذا الذى يجرؤ على عصيان وصايا يهوه ليعرض نفسه لمثل هذه الويلات. . . ؟!

(١) عزرا صح ٤: ١ ـ ٣. (٢) نحميا صح ١٣: ١ ، ٢. (٣) تثنية صح ٢٨: ١٥ ـ ٢٨.

(٤)
القَسْوَة والهَمَجيَّة

يهوه رب الجـنود ورجل الحرب، إله إسـرائيل القاسى الـظالم المتوحش كـما تصوره توراة اليهود، غرز فى نفسوهم غريزة البطش والإرهاب والقسوة الهمجية. ولإثبات ذلك نقوم بجولة قصيرة نتصـفح فيها كتاب اليهود المقدس. ولا ذنب لى حين تزكم الروائـح الكريهة أنف القـارىء وتصاب نفسـه بالغثيـان. فإن الواجب العلمى قضى أن أتعمق فى البحث وأن أصل إلى الجـذور مهما كانت الطريق إليها شاقة مرهقة.

ونبدأ الجولة مـع رب موسى التوراتى ونقتفـى آثار القسوة التى خطها لـشعبة المختـار لنجد أنه يأمـر يقتل الذيـن يأكلون خبـزا خميراً فـى أيام حرم فيـها أكل الخمير... «سبعة أيام تأكلون فطيراً. الـيوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم. فإن كل من أكـل خمـيراً من الـيوم الأول إلى اليـوم السـابع تقطـع تلك النـفس من إسرائيل... سبعة أيام لا يوجد خمير فى بيوتكم. فإن كل من أكل مختمرا تقطع تلك النفس من جماعة إسرائيل...[١].

واستفتح يهوه عمليات القسـوة والعنف بالشعب المصرى. «وقال موسى هكذا يقول الرب إنى نحو نصف الليل اخرج فى وسط مصر. فيموت كل بكر فى أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كـرسيه إلى بكر الجارية التى خلف الرحى وكل بكر بهيمة.»[٢].

وقبل التوغل فى أرض فـلسطين تمت مجزرة ابتغاء مرضـاة يهوه الذى غضب على شـعبه المحب للـذهب الساجد له مـن من دون يهوه. «هكذا قـال الرب إله إسرائيل ضـعوا كل واحد سيفه عـلى فخذه ومروا وارجعـوا من باب إلى باب فى المحلة **واقتلـوا كل واحد أخاه وكـل واحد صاحبـه وكل واحد قـريبه**. ففعل بنوا لاوى يحسب قول موسى. ووقع من الشعب فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل

(١) خروج صح ١٢: ١٥، ١٩.   (٢) خروج صح ١١: ٤، ٥.

وقال موسى املاءوا أيديكم اليوم للرب كل واحد بابنه وبأخيه. فيعطيكم اليوم بركة»[1].

وبعد أن استراحت نفس يهوه واستمتع برؤية شعبه يذبح بعضهم بعضاً، وجه ارادته إلى الشعب المختار، راسماً خطة المجازر الجديدة وحرب الإبادة ليضمن لشعبة الحبيب أرضاً بلا سكان ووطنا قوميا بلا منازعين ومشاغبين من السكان الأصليين. «متى أتى بك الرب الهلك إلى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحيثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسين سبع شعوب أكثر وأعظم منك ودفعهم الرب الهك أمامك وضربتهم فإنك تحرمهم (تقتلهم). »[2].

«حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح. فإن إجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وإما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا (فلسطين). وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك فلا تستبق نسمة ما. بل تحرمها تحريما كما أمرك الرب الهك. . . »[3].

وفوجىء أهل مديان من شعب فلسطين بالجموع اليهودية المتدفقة كالوحوش الضاربة، وشرعتها فى الحرب فتك وإبادة وسبى ونهب وسلب دون سابق انذار. «وكلم الرب موسى قائلا انتقم نقمة لبنى إسرائيل من المديانيين ثم تضم إلى قومك. . . فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر. وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم. . . وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم. واحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع

(١) خروج صح ٣٢: ٢٦ ـ ٢٩.
(٢) تثنية صح ٧: ١، ٢.
(٣) تثنية صح ٢٠: ١ ـ ١٠.

حصونهم بالنار . . . »[١].

وغضب موسى التوراة على قادة جيشه الذين ابقوا على حياة النساء والأطفال وسبوهم إلى المحلة. فـأمر بأن يطهر الجند من النجاسة بعـد ذبح النساء والأطفال «وقال لهم موسى هل أبقيتم كل أنثى حـية. . . فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال. وكل امـرأة عرفت رجلا بمـضاجعـة ذكر اقتـلوها. »[٢]. وزحفت جـموع اليـهود لتفـاجىء سيمـون ملك حشـبون ومن بعـده عوج ملك باشـان فى جنوب أرض كنعان، وتبـيد شعبيهـما بناء على أوامر يهوه. «فـدفعه الرب الهنا أمامنـا فضربناه وبنيـه وجميـع قومه. وأخـذنا كل مدنـة فى ذلك الوقت وحـرمنا من كل مـدينة **الرجال والنساء والأطفال** لم نبق شاردا. لكن البهائم نهبناها لأنفسنا وغنيمة المدن التى أخذنا. »[٣].

«فدفع الرب الهنا إلى أيدينا عوج ملك باشان وجـميع قومه فضربناه حتى لم يبق له شارد. وأخذنا كل مدنه فى ذلك الوقـت. لم تكن قوية لم نأخذها منهم. ستوت مـدينة. . . كل هذه كانت مـدنا محصنـة بأسوار شامخـة وأبواب ومزالج سوى قرى الـصحراء الكثيـرة جداً. فحرمناها كـما فعلنا بـسيمون ملك حـشبون محرمين كل مدينة **الرجال والنساء والأطفال**. . »[٤].

وتسلم يشوع بن نون الراية ـ راية يهـوه ـ من بعد موسى الذى قضى ولما تزل جموع اليـهود فى أطراف أرض كنعان. واستـهل يشوع بطولاته بأريحـا المنكوبة. «وحرموا كل ما فى المدينة **كل من رجل وامرأة من طفـل وشيخ حتى** البقر والغنم والحمير بحد السيف. . . واحرقوا المدينـة بالنار مع كل ما بها. إنما الفضة والذهب وآنية النحـاس والحديد جعلوها فى خـزانة بيت الرب. . »[٥]. واستمرأ رب اليهود عملية الافناء والابـادة. «فقال الرب ليشوع مد المزراق لذى بيـدك نحو عاى لأنى بيدك ادفعها. فمد يشوع المزراق الذى بيده نحو المدينة وضربوهم حتى **لم يبق منهم شارد** ولا منفلت. وإما ملك عـاى فأمسكوه حيا وتقدمـوا به إلى يشوع. وكان لما انتهـى إسرائيل من قتـل جميع سكان عـاى فى الحقل فى الـبرية حيث لحـقوهم

(١) عدد صح ٣١: ١ ـ ١٠.
(٢) عدد صح ٣١: ١٥، ١٧.
(٣) تثنية صح ٢: ٣٣ ـ ٣٥.
(٤) تثنية صح ٣: ٣ ـ ٦.
(٥) يشوع صح ٦: ٢١ ـ ٢٤.

وسقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا أن جميع اسرائيل رجع إلى عاى وضربوها بحد السيف. فكان جميع الذين سقطوا فى ذلك اليوم **من رجال ونساء اثنى عشر الفا** جميع أهل عاى. ويشوع لم يرد يده التى مدها بالمزراق حتى حرم جميع سكان عاى. لكن البهائم وغنيمة تلك المدينة نهبها إسرائيل لأنفسهم **حسب قول الرب** الذى أمر به يشوع.»[1]. وبعد أن أحرق يشوع عاى ودمرها قتل ملكها الأسير وعلق جثته على باب المدينة...

وواصل يشوع عملية الفتك والاباده بهمة عظيمة يرضى عنها رب الجنود يهوه. «وأخذ يشوع مقيدة فى ذلك اليوم وضربها بحد السيف وحرم ملكها هو **وكل نفس بها**. ولم يبق شاردا... ثم اجتاز إلى لبنة وحارب لبنة... فضربها بحد السيف وكل نفس بها لم يبق شاردا وفعل بملكها كما فعل بملك اريحا[2]... ومن بعد لبنة اباد سكان لخيش وعجلون وحبرون ودبير مع ملوكهم. كما أباد ملك حاصور وشعبه، ومن كان معه من ملوك ما دون وشمرون واكشاف. ثم أخذ يشوع حاصور وقتل كل نفس فيها بحد السيف. وفى سفر يشوع تفصيل لمعارك الابادة والاصرار على ذكر القتل قتل جميع السكان وافنائهم الملوك والشعب، والنساء والرجال والاطفال والشيوخ[3]. واستمرت المذابح والمجازر بعد يشوع، تارة بين نبى إسرائيل فى الشمال وبين نبى بنيامين فى الجنوب، وتارة أخرى بين هذين الفرعين من اليهود وبين شعب كنعان المنكوب. وها هو ابيمالك يخدع اخواله ويأخذ منهم الموافقة على تنصيبه ملكاً، ثم يسارع إلى الفتك باخوته. «ثم جاء إلى بيت ابيه فى عفرة وقتل اخوته بنى يربعل سبعين رجلا على حجر واحد. وبقى يوثام بن يربعل الاصغر لأنه اختبأ.[4].

وتقضى غريزة سفك الدماء وشهوة الإفناء والإبادة أن يهود جلعاد ذبحوا اثنين وأربعين ألفا من يهود أفرايم لأنهم أخطأوا فى لفظ حرف (ش) ولفظوه (س).

«فأخذ الجلعاديون مخاوض الأردن لأفرايم وكان إذا قال منفلتوا أفرايم دعونى أعبر. كان رجال جلعاد يقولون له أأنت أفرايمى فإن قال لا يقولون له قل إذاً

---

(١) يشوع صح ٨: ١٨ ـ ٢٦.
(٢) يشوع صح ١٠: ٢٨ ـ ٣٠.
(٣) يشوع صح ١١: ١ ـ ٢٢.
(٤) قضاة صح ٩: ٥.

شبولت فيـقول سبولت ولم يتحـفظ للفظ بحق. فكانوا يأخذونه ويـذبحونه على مخاوض الإردن. فسقط فى ذلك الوقت من أفرايم إثنان وأربعون ألفاً.»[1].

وقتل عشرات الألوف فى شـرعة يهوه التى غرسها فى نفوس شـعبه المختار، أمر سهل يسير يروى تعطش يهوه إلى شرب الـدماء. «فخرج بنو بنيامين من جبعة واهلكوا من إسرائيل فى ذلك اليوم **إثنين وعشرين ألف** رجل إلى الأرض. وتشرد الشعب رجال إسرائيل... فخرج بنيامين للقائهم من جبعة فى اليوم الثانى واهلك من بنى إسرائيل أيضا ثمانية عشر ألف رجل إلى الأرض»[2].

وحين زال غضب يهـوه عن إسرائيل سارع إلى الـفتك ببنى بنيـامين «فضرب الرب بنيامين أمـام إسرائيل وأهلك بنو إسرائـيل من بنيامين فى ذلك اليـوم خمسة وعشرين ألف رجل ومئة رجل. كل هؤلاء مخترطوا السيف... ورجعوا أمام بنى إسرائيـل فى طريق البـرية ولكن القـتال أدركهم والـذين من المدن أهلكـوهم فى وسطهم. فحاوطوا بنيامين وطاردوهم بسهولـة وأدركوهم مقابل جبعة لجهة شروق الشمس. فسقـط من بنيامين ثمانية عشر ألف رجـل... ورجع رجال بنى إسرائل إلى بنى بنيامين وضربوهم بحد السيف من المدينة بأسرها حتى البهائم حتى كل ما وجد وأيضا جميع المدن التى وجدت أحرقوها بالنار..»[3].

وتخلف يهود يابيش عن زيارة يهوه فى المجمع فكان جزاؤهم الإبادة. «وقالوا أى سبط من أسبـاط إسرائيل لم يصعد إلى الرب إلى المصـفاة وهو ذا لم يأتى إلى المحلة رجل من يابـيش جلعاد إلى المجمع... فـأرسلت الجماعة إلـى هناك أثنى عشر ألف رجل من بنى البأس وأوصوهم قائلين وأضربوا سكان يابيش جلعاد بحد السيف مع النسـاء والأطفال. وهذا ما تعملونه تحرمون كـل ذكر وكل امرأة عرفت اضطجاع ذكر...

وحين كان شعب يهـوه يتريث قليلا عن مواصلة سفـك الدماء، نجد أن يهوه نفسه يسارع إلى القيام بهذه المهمـة. «ضرب أهل بيتشمس لأنهم نظروا إلى تابوت الرب، وضرب من الشعب خمسين ألف رجل وسبعين رجلاً»[4].

---

(١) قضاة صح ١٢: ٥، ٦.
(٢) قضاة صح ٢٠: ٢١، ٢٢، ٢٥.
(٣) قضاة صح ٢٠: ٣٥، ٤٢ ـ ٤٨.
(٤) صموئيل الأول صح ٦: ١٩.

«فجعل الرب وباء فى إسرائيل فسقط من إسرائيل سبعون ألف رجل»[1].

وجاء نبيهم صموئيل، وهو من أعظم أنبيائهم، فجرب حظه فى التقرب إلى يهوه عن طريق سفك الدماء. «هكذا يقول رب الجنود. إنى قد أفتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له فى الطريق عند صعوده من مصر. فالأن إذهب وأضرب عماليق وحرموا كل ما له ولا تعف عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة، طفلا ورضيعًا. بقراً وغنماً. جملا وجماراً. .»[2].

وحين هب شاؤل لتنفيذ أوامر صموئيل وحرم جميع الشعب بحد السيف، عفا عن أجاج ملك عماليق وأخذه أسيرا، كما أستبقى خيار الغنم والبقر والخراف ولم يسمح بابادتها مع الشعب. فثار صموئيل ونقل إلى شاؤل غضب الرب لأنه خالف تعاليمه بالإبادة الكاملة. ولما كان شاؤل قد مسح ملكا على إسرائيل ببركة صموئيل، فإنه سارع إلى طلب المغفرة عن الذنب العظيم الذى أقترفه يوم أبقى على حياة أجاج مع خيار المواشى. . . «وقال صموئيل قدموا إلى أجاج ملك عماليق. فذهب إليه أجاج فرحاً. وقال أجاج حقاً قد زالت مرارة الموت. . . فقطع صموئيل أجاج أمام الرب فى الجلجال. . . ولم يعد صموئيل لرؤية شاؤل إلى يوم موته لأن صموئيل ناح على شاؤل والرب ندم لأنه ملك شاؤل على إسرائيل. . . »[3] ولننظر إلى شاؤل الذى عده صموئيل متسامحاً يعفو عن أسيره أجاج ولا يفتك بالمواشى، لنجد غريزة العنف والوحشية تنمو فى نفسه، فيطلب من داود أن يقطع له مائة غلفة من أعضاء الذكور من الفلسطينيين ويقدمها مهراً لابنته ميكال. «فقال شاؤل هكذا تقولون لداود. ليست مسرة الملك بالمهر بل بمئة غفلة من الفلسطينيين للانتقام من أعداء الملك. . . ولم تكتمل الأيام حتى قام داود وذهب هو ورجاله وقتل من الفلسطينيين مئتى رجل وأتى داود بغلفهم فأكملوها للملك لمصاهرة الملك فأعطاه شاؤل ميكال ابنته امرأة. . . » [4]

---

(١) اخبار الأيام الأول صح ٢١: ١٤.
(٢) صموئيل الأول صح ١٥: ٢، ٣.
(٣) صموئيل الأول صح ١٥: ٣٢، ٣٣.
(٤) صموئيل الأول صح ١٨: ٢٥، ٢٧، ٢٨.

ولا نعجب لوحشية شاؤل هذه إذا ما علمنا أنه أخذ يفتك بالكهنة من بنى إسرائيل أنفسهم وبالنساء والأطفال والحيوانات. «ووقع هو بالكهنة وقتل فى ذلك اليوم خمسة وثمانين رجلاً لابسى أفود كتان. وضرب نوب مدينة الكهنة بحد السيف. الرجال والنساء والأطفال والرضعان والثيران والحمير والغنم بحد السيف...» [١] وجاء دور نبيهم الأعظم، وابن يهوه المفضل وخليفته الذى أقسم أن يظل ملك إسرائيل فى عقبه إلى الأبد، فاستهل عهده الدامى بالفتك بالفلسطينيين الذين أحسنوا إليه وآووه يوم كان هارباً من بطش شاؤل.

«وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذللهم وأخذ داود زمام القصبة من يد الفلسطينيين، وضرب المؤابيين وقاسمهم بالجبل. أضجعهم على الأرض فقاس بحبلين للقتل وحبل للاستحياء...»وضرب داود هدد عزر بن رحوب ملك صوبة فأخذ داود منه ألفا وسبع مئة فارس وعشرين ألف رجل. وعرقب داود جميع خيل المركبات وأبقى منها مئة مركبة. فجاء آرام دمشق لنجدة هدد عزر ملك صوبة فضرب داود من آرام إثنين وعشرين ألف رجل... ونصب داود تذكارا عند رجوعه من ضربه ثمانية عشر ألفاً من آرام فى وادى الملح... وهرب آرام من أمام إسرائيل وقتل داود من آرام سبع مئة مركبة وأربعين ألف فارس...»[٢].

ولم تقنع طريقة الإبادة بالسيف الملك داود فاستنبط طريقة جديدة فذة.

«وأخرج غنيمة المدينة ـ ربة بنى عمون ـ كثيرة جدا. واخرج الشعب الذى فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرهم فى أتون الأجر وهكذا صنع بجميع مدن بنى عمون...»[٣].

واستتب الأمر لداود، فلم يبق على عدائه له سوى ابنه أبشالوم. وإستحكم العداء بينهما فلابد إذن من مجزرة. «وكان القتال فى وعر أفرايم. فأنكسر هناك شعب إسرائيل أمام عبيد داود وكانت هناك مقتلة عظيمة فى ذلك اليوم قتل

(١) صموئيل الأول صح ٢٢: ١٨، ١٩.
(٢) صموئيل الثانى صح ٨: ١ ـ ١٨.
(٣) صموئيل الثانى ١٢: ٣٠، ٣١.
(٤) صموئيل الثانى صح ١٨: ٦ ـ ٨.

عشرون ألفا وكان القتال هناك منتشراً على وجه كل الأرض وزاد الذين أكلهم الوعر من الشعب على الذين أكلهم السيف فى ذلك اليوم. . .»[٤].

وجاء سليمان الحكيم، فوجد أنه لابد من سفك الدماء لتتم الحكمة ويكمل الدهاء وتتوطد أركان الملك. . . «فنزل هؤلاء مقابل أولئك سبعة أيام وفى اليوم السابع اشتبكت الحرب فضرب بنو إسرائيل من الأراميين مئة ألف رجل فى يوم واحد. وهرب الباقون إلى أفيق إلى المدينة وسقط السور على السبعة والعشرين ألف رجل الباقين. . .»[١].

ولا يصح أن نهمل ذكر نصيب ملائكة توراة اليهود فى سفك الدماء والمجازر التى توردها أسفار اليهود. «وكان فى تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب من جيش أشور مئة ألف وخمسة وثمانين ألفا. ولما بكروا صباحاً إذا هم جميعا جثث ميتة»[٢].

وأشتد الصراع على مرضاة يهوه بين يهوذا وإسرائيل، فدارت بينهما رحى معركة طاحنة. «وهتف رجال يهوذا ولما هتف رجال يهوذا ضرب الله يربعام وكل إسرائيل أمام أبيا ويهوذا. فأنهزم بنو إسرائيل من أمام يهوذا فدفعهم الله ليدهم. وضربهم أبيا وقومه ضربة عظيمة فسقط قتلى من إسرائيل خمس مئة ألف رجل مختار. فنزل بنو إسرائيل فى ذلك الوقت وتشجع بنو يهوذا لأنهم أتكلوا على الرب اله آبائهم. . .»[٣].

ويهورام بن يهو شافاط يجرب سيفه بأخوته. «فقام يهورام على مملكة أبيه وتشدد وقتل جميع أخوته بالسيف وأيضا بعضا من رؤساء إسرائيل. . .»[٤].

ثم تأتى عتليا أم أخزيا ابن يهورام وتبيد جميع النسل الملكى المقدس. ولم لا؟ أهى أقل من الرجال شجاعة ورغبة فى سفك الدماء. «ولما رأيت عتليا أم أخزيا ابنها قد مات قامت وأبادت جميع النسل الملكى من بيت يهوذا. . .»[٥].

(١) الملوك الأول صح ٢٠: ٢٩، ٣٠.
(٢) الملوك الثانى صح ١٩: ٣٥.
(٣) أخبار الأيام الثانى صح ١٢: ١٥ ـ ١٨.
(٤) أخبار الأيام الثانى صح ٢١: ٤.
(٥) المرجع نفسه صح ٢٢: ١٠.

وحين تنبأ الكاهن زكريا قتلوه فى بيت الرب. ولبس روح الله زكريا الكاهن بن يهوياداع فوقف فوق الشعب وقال لهم هكذا يقول الله لماذا تتعدون وصايا الرب فلا تفلحون. لأنكم تركتم الرب ترككم. ففتنوا عليه ورجموه بحجارة بأمر الملك فى دار بيت الرب...»[١].

وأنتقم يهوه لقتل نبيه زكريا فاوقع يواش الملك بأيدى جيش أرام فأهلكوا جميع رؤساء الشعب فى يهوذا واورشليم[٢].

ويبدو أن يهوه قد غضب على شعبه لأن حدة المجازر قد خفت، فجاء أمصيا الصالح «فتشدد واقتاد شعبه وذهب إلى وادى الملح وضرب من بنى سعير عشرة آلاف أحياء سباهم بنو يهوذا واتوا بهم إلى رأس سالع وطرحوهم عن رأس سالع فتكسروا أجمعين... وأما الرجال الذين أرجعهم أمصيا عن الذهاب معه إلى القتال فاقتحموا مدن يهوذا من السامرة إلى بيت حورون وضربوا منهم ثلاثة آلاف ونهبوا نهبا كثيرا...»[٣].

واشتد ساعد إسرائيل ونال حظوة عند رب الجنود يهوه فنصره على يهوذا... «ودفع أيضا ليد ملك إسرائيل فضربه ضربة عظيمة. وقتل فقح بن رمليا فى يهوذا مئة وعشرين ألفا فى يوم واحد. الجميع بنو بأس لأنهم تركوا الرب اله آبائهم. وقتل زكرى جبار أفرايم معسيا ابن الملك وعزر يقام رئيس البيت والقانة ثانى الملك. وسبى بنو إسرائيل من أخوتهم مئتى ألف من النساء والبنين والبنات ونهبوا أيضا غنيمة وافرة واتوا بالغنيمة إلى السامرة»[٤].

وتوراة اليهود لا تخفى حقيقة الشعب المختار وميوله لشرب الدماء وقضم عظام البشر وقتل الأولاد حتى أولاد اليهود أنفسهم. «هوذا شعب يقوم كلبوة ويرتفع كأسد. لا ينام حتى يأكل فريسة ويشرب دم قتلى... الله أخرجه من مصر. له مثل سرعة الرئم. يأكل أمما مضايقيه ويقضم عظامهم...»[٥].

وارميا نبيهم الذي يندد أحيانا بحرق أبناء اليهود بالنار. «وبنوا مرتفعات توفة

(١) المرجع نفسه صح ٢٤: ٢٠، ٢١.
(٢) المرجع نفسه ٢٤: ٢٣.
(٣) المرجع نفسه صح ٢٥: ١١ ـ ١٢.
(٤) أخبار الأيام الثانى صح ٢٨: ٥ ـ ٨.
(٥) عدد صح ٢٣: ٢٤، صح ٢٤: ٨.

التى فى وادى ابن هنوم ليحرقوا بنيهم وبناتهم بالنار الذى لم آمر به ولا صعد على قلبى. . .»[1] نجده يترنم بترديد قسوة يهوه رب الجنود وسحقه للشيخ والفتى والغلام والعذراء. «. . . وقضيب ميراثه رب الجنود اسمه أنت لى فأس وأدوات حرب فأسحق بك الأمم وأهلك بك الممالك وأكسر بك الفرس وراكبه واسحق بك المركبة وراكبها وإسحق بك الرجل والمرأة وإسحق بك الشيخ والفتى وإسحق بك الغلام والعذراء وإسحق بك الراعى وقطيعه وإسحق بك الفلاح وفدانه وإسحق بك الولاة والحكام»[2].

وقديسة التوراة استير، خصها كهان بنى إسرائيل بسفر كامل جاء رمزا على الكذب والتآمر والغدر والوحشية والقسوة. فقد أثبت السفر قصة مردخاى أحد أفراد حاشية الملك لحشويروش، وكيف أفسد هذا اليهودى ما بين الملك والملكة ليزوجه من ابنة عمه استير، وكيف دبر قصة تآمر الشعب على اليهود ثم إستخدم استير لأدخال قصة التآمر الكاذب فى روع الملك والحصول منه على أمر برد العدوان المرتقب عن اليهود. ونجح مردخاى نجاحا باهرا كان من نتيجته ذبح عشرات الألوف من الشعب اللاهى الذى فوجىء باليهوب المسلحين المستعدين يهاجمونه ويفتكون به. ولم يخسر اليهود قتيلا واحدا مما يؤكد براءة الشعب المسكين من قصة التآمر على اليهود التى اخترعها مردخاى. «ولما رأى هامان أن مردخاى لا يجثو ولا يسجد له امتلأ هامان غضباً وازدرى فى عينيه أن يمد يده إلى مردخاى وحده لأنهم أخبروه عن شعب مردخاى فطلب هامان أن يهلك جميع اليهود الذين فى كل مملكة احشويروش شعب مردخاى. . . .

«فجاء الملك وهامان ليشربا عند استير الملكة. فقال الملك لاستير فى اليوم الثانى أيضا عند شرب الخمر ما هو سؤلك يا استير الملكة فيعطى لك وما هى طلبتك. ولو إلى نصف المملكة تقضى. . . «فمد الملك لاستير قضيب الذهب فقامت استير ووقفت أمام الملك. وقالت إذا حسن عند الملك ووجدت نعمة أمامه وأستقام الأمر أمام الملك وحسنت أنا لديه فليكتب لى لكى ترد كتابات تدبير هامان بن همداثا الأجاجى التى كتبها لأبادة اليهود الذين فى كل بلاد الملك. . .

(١) ارميا صح ٧: ٣١.   (٢) ارميا صح ٥١: ١٩ ـ ٢٣.

«فقال الملك احشويروش لاستير الملكة ومردخاى اليهودى هوذا أعطيت بيت هامان لاستير أما هو فقد صلبوه على الخشبة من أجل أنه مد يده إلى اليهود. . .»[1] ولم يكتف مردخاى بالقضاء على هامان، فدبر عملية سفك دماء الآلاف ليشبع غريزته وينتقم من الأبرياء.

«فكتب باسم الملك احشويروش وختم بخاتم الملك وأرسل رسائل بأيدى بريد الخيل. . . التى بها أعطى الملك اليهود فى مدينة فمدينة أن يجتمعوا ويقفوا لأجل أنفسهم ويهلكوا ويقتلوا ويبيدوا قوة كل شعب وكوره تضادهم حتى الأطفال والنساء وأن يسلبوا غنيمتهم. . .

«وقتل اليهود فى شوشن القصر وأهلكوا خمس مئة رجل، عشر بنى هامان ابن همداثا عدو اليهود قتلوهم. . . فقال الملك لاستير الملكة فى شوشن القصر قد قتل اليهود وأهلكوا خمس مئة رجل وبنى هامان العشر. . فما هو سؤلك فيعطى لك وما هى طلبتك بعد فتقضى». . .

وبعد أن صلب أبناء هامان العشرة على الخشبة حسب طلب استير اتجه اليهود إلى الفتك بالشعب فى بقية المناطق. . .» وباقى اليهود الذين فى بلدان الملك إجتمعوا ووقفوا لأجل أنفسهم واستراحوا من أعدائهم وقتلوا من مبغضيهم خمسة وسبعين الفاً. فى اليوم الثالث عشر من شهر آذار.

واستراحوا فى اليوم الرابع عشر منه وجعلوه يوم شرب وفرح (عيداً رسمياً لليهود)[2].

ولا ننسى ونحن نعرض لهذه المجاوز التى كان يذهب ضحيتها مئات الألوف فى معركة واحدة تدوم يوماً أو بعض يوم، أن نذكر بأن السلاح الرئيسى الذى كان يستخدم فى تلك المذابح هو السيف. ولنا أن نقيس درجة الوحشية والهمجية من تصورنا لمعركة يسقط فيها نصف مليون قتيل، من غير إستخدام قنابل ذرية أو هيدروجينية، أو مدافع ورشاشات ودبابات وطائرات من قاذفات القنابل والصواريخ. . . . ولنا أن نقيس كذلك درجة المدنية التى قدمها اليهود للعالم،

(١) استير صح ٣، ٥.
(٢) أستير صح ٩.

حين نتصور المآسى والكوارث التى كانت تنجــم عن سبى مئتى ألف سيدة وطفل، فى معركة واحدة بعد ذبح مئات الألوف من الرجال المحاربين وغير المحاربين. إنها لعمرى ليست مدنيــة بل همجية ووحشية حتى أننا نخطىء كثـيراً حين ننسبها إلى الوحوش ونسميها وحشية. ذلك لأن جميع أنواع الوحوش لا تقترف جرائم القتل إلا لتأمين وجبــات طعامها، فى حين أن اليــهود كانوا وما زالوا متعــطشين لسفك الدماء بشكل جنونى محموم، لم يسبق له مثيل فى تاريخ البشر.

(٥)
الفسْق والدّعَارَة

ما اكتسب العهر والفجور والفسق والدعارة قداسة كما اكتسبت فى تواراة اليهود. ونظمت التوراة عهارات لم يسبق لدين من الأديان أن أباحها أو عالجها بالشكل الذى عولجت به فى دين اليهود. وتعد التوراة بحق الكتاب الأول فى التاريخ كله الذى قدّم للإنسانية الدروس الأولى فى الإنحلال الخلقى والأباحية.

فى شرعة التوراة لا بأس من مضاجعة الأب لابنته حتى ولو كان شيخاً فانياً سكراناً. «وصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل وابنتاه معه. لأنه خاف أن يسكن فى صوغر فسكن فى المغارة وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسقى أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلاً. فسقيا أباهما خمراً فى تلك الليلة. ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم بأضطجاعها ولا بقيامها. وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى. نسقيه خمراً الليلة أيضاً فإدخلى اضطجعى معه فنحيى من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة أيضاً. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم بإضطجاعها لا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما. فولدت البكر ابناً ودعت اسمه مؤاب. وهو أبو المؤابيين إلى اليوم. والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمى، هو أبو بنى عمون إلى اليوم»[١].

واستن رأوبين بن يعقوب سنة الاعتداء على زوجة الأب. «ودعا يعقوب بنيه وقال اجتمعوا لانبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام. اجتمعوا واسمعوا يا بنى يعقوب. واصغوا إلى إسرائيل أبيكم. رأوبين أنت بكرى قوتى وأول قدرتى فضل الرفعة وفضل العز. فائراً كالماء لا تتفضل. لأنك صعدت على مضجع أبيك. حينئذ دنسته. على فراشى صعد»[٢] وتفشت هذه العادة عند ملوكهم وأبناء

(١) تكوين صح ١٩: ٣٠ - ٣٨.

(٢) تكوين صح ٤٩: ١ - ٤.

ملوكهم فطبقها ابشالوم بن داود على نطاق واسع. «وقال ابشالوم لاخيتوفل أعطوا مشورة ماذا نفعل. فقال أخيتوفل لابشالوم أدخل إلى سرارى أبيك اللواتى تركهن لحفظ البيت فيسمع كل إسرائيل أنك قد صرت مكروهاً من أبيك وتتشدد أيدى جميع الذين معك. فنصبوا لابشالوم الخيمة على السطح ودخل ابشالوم إلى سرارى أبيه أمام جميع إسرائيل. وكانت مشورة اخيتوفل التى كانت يشير بها فى تلك الأيام كمن يسأل بكلام الله (مقدسة).»(١).

وابشالوم هذا ورث الدعارة عن أبيه داود التوراة، ليس داود النبى الذى يجله القرآن الكريم ويحقره اليهود. فداود التوراة يسطو على زوجة أحد ضباطه أثناء غيابه فى الجبهة، ثم يتآمر على حياته ليخلو له الجو فيتزوج المرأة الجميلة التى زنى بها.

«وكان فى وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم. وكانت المرأة جميلة المنظر جداً.

فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد اليست هذه بتشبيع بنت اليعام امرأة أوريا.. فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها. ثم رجعت إلى بيتها. وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت أنى حبلى. فأرسل داود إلى يوآب يقول أرسل إلى أوريا الحثى. فأرسل يوآب أوريا إلى داود...(٢).

وحين وصل أوريا منحه داود أجازة لقضاء ليلة مع زوجته فتضيع جريمة أغتصابها وحملها. ولكن أوريا كان خبيثاً ففهم الخطة ونام مع الحرس على باب بيت الملك. وعلم داود فى الصباح أن أوريا لم يدخل بيته فسأله. وكان رد أوريا ذكياً واعياً. وبرر رفضه بأن الجيش يحارب فى الجبهة فلا تطاوعه نفسه على الأستمتاع والراحة فى بيته. فأعاده داود إلى الجبهة بعد أن حاك مؤامرة التخلص منه مع القائد العام يؤاب. ونجحت الخطة وتخلص داود من أوريا الضابط الذى قتله جمال زوجته، ثم تزوجها بعد انقضاء فترة الحداد. فلما سمعت امرأة أوريا

(١) صموئيل الثانى صح ١٦: ٢٠ ـ ٢٣..

(٢) صموئيل الثانى صح ١: ١ ـ ٤.

أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً. . .»[1].

وتصور التوراة داود فى شيخوخته محباً للعذارى يتدثر بهن حين يصاب بالقشعريرة. «وشاخ الملك داود. تقدم فى الأيام. وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ. فقال له عبيده ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء فلتقف أمام الملك ولتكن له حاضنة ولتضطجع فى حضنك فيدفأ سيدنا الملك. ففتشوا على فتاة جميلة فى جميع تخوم إسرائيل فوجدوا ابيشج الشونمية فجاءوا بها إلى الملك. وكانت الفتاة جميلة جداً فكانت حاضنة الملك وكانت تخدمه ولكن الملك لم يعرفها. . .»[2].

حقاً أن هذه الوصفة الطبية (روشتة)، وقف على داود وعلى شعبه المنحل الذى يسبح فى بحر الجنس والرذيلة منذ ثلاثين قرناً إلى يومنا هذا. ولا ننسى يهوذا أحد أبناء يعقوب وكيف زنى بكنته تامار حسب كلام التوراة.

«ولما طال الزمان وماتت ابنة شوع امرأة يهوذا، ثم تعزى يهوذا فصعد إلى جزاز غنمه. . . فأخبرت تامار وقيل لها هو ذا حموك صاعد إلى تمنة ليجز غنمه. فخلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت وجلست فى مدخل عينايم التى على طريق تمنة. . . فنظرها يهوذا وحسبها زانية. . . فمال إليها على الطريق وقال هاتى ادخل عليك. لأنه لم يعلم أنها كنته. فقالت ماذا تعطينا لكى تدخل على. فقال أنى أرسل جدى معزى من الغنم. فقالت هل تعطينى رهناً حتى ترسله. . .»[3] وخلاصة ما تمّ بينهما، أنه أعطاها خاتمه ومنديله وعصاه. ثم زنى بها واختفت عن الأنظار. وحين أرسل الجدى ليسترد الرهن لم يجدها الرسل. وبعد ثلاثة أشهر أخبر يهوذا بأن كنته حبلى لأنها زنت ولم تنتظر زوجها الصغير ابن يهوذا. فأمر بحرقها. وعند التنفيذ أبرزت الرهن فأعترف يهوذا أنه صاحبه، وأوقف التنفيذ. ثم ولدت تامار توأمين هما فارص وزارح. ومن نسل فارص جاء بوعز المتزوج بروث التى هى من نسل موآب. ومن نسلهما جاء داود التوراة. فهو أى داود (ممزير) ابن زنى، لأن موآب ابن زنى، فأمه بنت لوط حبلت به من أبيها.

(١) صموئيل الثانى صح ٢٢ كله. (٢) الملوك الأول صح ١: ١ ـ ٤.
(٣) تكوين صح ٣٨: ١٢ ـ ١٨.

وبوعز جاء من فارص من الزنى كذلك، فيكون داود بحسب قول التوراة ممزير[1].

وسجلت التوراة وقائع أكثر بشاعـة من كل ما مر معنا. سجلت أن أمنون ابن داود زنى بأخته تامار، وغضب شقيقهـا ابشالوم فانتقم من امنون بواسطة غلمانه. «وكان لأمنون صاحب اسمه يونـاداب بن شمص أخي داود. وكان يوناداب رجلاً حكيماً جداً. فقال له لماذا يا ابن الملك أنت ضعيف هكذا من صباح إلى صباح أما تخـبرني. فـقال له أمنـون إني أحب تامـار أخت ابشالـوم أخي. فقـال يوناداب اضطجع على سريرك وتمارض. وإذا جاء أبوك ليراك فـقل له دع تامار أختي فتأتي وتطعـمني خبـزاً وتعمل أمـامي الطعـام لأرى فآكل من يـدها. فاضطجـع أمنون وتمارض فجاء الملك ليـراه. فقال أمنون للملك دع تامار أختي فـتأتي وتضع أمامي كعكتين فـآكل من يدها. فأرسل داود إلى تـامار إلى البيت قائـلاً اذهبي إلى بيت أمنون أخيك واعملي له طعاماً.

فذهبت تامار إلى بيت أمنون أخيها وهو مضطجع. وأخذت العجين وعجنت وعملـت كعكاً أمامـه وخبزت الكـعك. وأخذت المقـلاة وسكبت أمامـه فأبى أن يأكل. وقال أمنون اخرجوا كل إنسان عنـي. فخرج كل إنسان عنه. ثم قال أمنون لتامار ايتي بالطـعام إلى المخدع فآكل من يدك. فأخذت تامار الـكعك الذي عملته وأتت به أمنون أخـاها إلى المخدع. وقدمت لـه ليأكل فأمـسكها وقال لهـا تعالي اضطجـعي معي يا أختـي. فقال له لا يا أخـي لا تذلني لأنه لا يفعـل هكذا في إسرائيل. لا تعمل هذه القباحة. . . والآن كلم الملك لأنه لا يمنعني منك. فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمـكن منها وقهرها واضطجع معها. ثم أبغـضها أمنون بغضة شديدة جداً حتـى أن البغضة التي أبغضهـا إياها كانت أشد من المحبة الـتي أحبها إياها. وقال لها أمنون قومي انطلقي. . . فجـعلت تامار رماداً على رأسها ومزقت الثوب الملون الذي عليها ووضعت يدها علـى رأسها وكانت تذهب صارخة. فقال لها ابشـالوم أخوها هل كان أمنون أخـوك معك. فالآن يا أختـي اسكتي. أخوك هو. لا تضعي قلبك على هذا الأمر. . . »[2].

أما سليـمان التوراة وحياتـه الجنسية فحـدث عنهما ولا حرج. فـهي تصوره

(١) انظر بقية الاصحاح ٣٨ من سفر التكوين.

(٢) صموئيل الثاني صح ١٣ : ١ ـ ٢٠.

مزواجاً شيقاً يقتنى مئات الأزواج والسرارى.

«وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وادوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة. وكانت له سبع مئة من النساء والسيدات وثلاث مئة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه. . .»[1].

ولا يصح أن ننهى الحديث عن جذور الفسق والدعارة فى التوراة دون أن نقبس بعض ما جاء فى سفر نشيد الأنشاد. وأرجو أن لا تحسبوا أننى أنقل من كتاب (رجوع الشيخ إلى صباه. . .).

«صوت حبيبتى. هوذا آت ظافراً على الجبال قافزاً على التلال. حبيبى هو شبيه بالظبى أو بغفر الايائل. هوذا واقف وراء حائطنا يتطلع من الكوى يوصوص من الشبابيك. أجاب حبيبى وقال لى قومى يا حبيبتى يا جميلتى وتعالى. . . التينة أخرجت فجها وقعال الكروم تفيح رائحتها. قومى يا حبيبتى يا جميلتى وتعالى. . . فى الليل على فراش طلبت من تحبه نفسى طلبته فما وجدته. إنى أقوم وأطوف فى المدينة فى الأسواق وفى الشوارع أطلب من تحبه نفسى. وجدنى الحرس الطائف فى المدينة فقلت أرأيتم من تحبه نفسى. فما جاوزتهم إلا قليلاً حتى وجدت من تحبه نفسى فأمسكته ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمى وحجرة من حبلت بى. احلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقل ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء. . . ها أنت جميلة يا حبيبتى، ها أنت جميلة عيناك حمامتان من تحت نقابك. شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعاد. أسنانك كقطيع الجزائر الصادرة من الغسل وليس فيهن عقيم. شفتاك كسلكة من القرمز. وفمك حلو. خدك كفلقة رمانة تحت نقابك. ثدياك كخشفتى ظبية توأمين يرعيان بين السوسن. قد سبيت قلبى يا أختى العروس قد سبيت قلبى بإحدى عينيك بقلادة واحدة من عنقك. ما أحسن حبك يا أختى العروس كم محبتك أطيب من الخمر وكم رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب. شفتاك يا عروس تقطران شهداً. تحت

(١) الملوك الأول صح ١١: ١ ـ ٤.

لسـانك عسـل ولبن ورائحـة ثيابـك كرائحـة لبنان. قـد دخلت جـنتى يا أخـتى العروس. قطفـت مرى مع طيبى. أكلت شـهدى مع عسلى. شربـت خمرى مع لبنـى. كلوا أيهـا الأصحـاب اشربـوا واسكروا أيهـا الأحبـاء. أنا نائـمة وقلـبى مستيقظ... افتحى لى يا حبيبـتى يا حمامتى يا كاملتى لأن رأسى امتلأ من الطل وقصص من ندى الليل. قد خلعت ثوبى فكيـف ألبسه. قد غسلت رجلى فكيف أوسخهـما. حبيبى مد يـده من الكوة فأنت عليه أحـشائى. حبيبى أبـيض وأحمر شفتاه سوسن تقطران مراً مائعاً. يداه حلقـتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد. بطنه عاج أبيض مغلف بالـياقوت الأزرق. ساقاه عمودا رخام مؤسسـتان على قاعدتين من ابريز. حلقه حلاوة وكله مشتهيات. ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم. دوائر فخذيك مثل الحلى صنعة يدى صناع. سرتك كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسـوسن. ثدياك كخشفتين توأمى ظبية. عنقك كبرج عـاج. ما أجملك ومـا أحلاك أيتها الحبـيبة باللذات. قـامتك هذة شبـيهة بالنخلة وثدياك بالعـناقيد. قلت أنى أصعد إلى النخلة وأمسـك بعذوقها. وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ورائحة أنفك كالتفاح. وحنكك كأجود الخمر أنا لحبيبى وإلى اشتـياقـه... واقودك وادخل بـك بيت أمى وهى تـعلمنى فـأسقـيك من الخـمر الممزوجة من سلاف رمانى بشماله تحت رأسى ويمينه تعانقنى...»[1].

(١) انظر سفر نشيد الأنشاد صح ١ ـ ٩.

(٦)
الظّلُم وَالطّغيَان

تعد التوراة أول كتاب فى العالم يبيح قتل الأبرياء وأخذ الإبناء بجريرة الآباء. وتقرر التوراة العقوبات المشتركة التى يذهب ضحيتها الأطفال والشيوخ والنساء ممن لا ذنب لهم. وتجيز كذلك قتل الحيوانات التى لا تعقل والتى لم يعاقبها تشريع من شرائع العالم. فهـا هو موسى التوراة يعاقب الذين اعترضوا عـليه من بنى قومه، ويدعو ربه ليخسف بهم الأرض مع نسائـهم وأطفالهم. «خرج داثان وأبيرام ووقفا فى باب خيمتهما مع نسائهما وبينهما أطفالهما. فقال موسى بهذا تعلمون أن الرب قد أرسلنـى لأعمل كل هذه الأعمـال وأنها ليسـت من نفسى... فلمـا فرغ من التكلم بكل هذا الكلام أنشقت الأرض التى تحتهم. وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كـان لقورح مع كل الأموال. فنزلوا هم وكل ما كـان لهم أحياء إلى الهاوية وأنطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين الجماعة...»[١].

وحين عثر قوم مـوسى على شخص يحتطب فى يوم سـبت، لم يرشدوه إلى دينهم الذى يحرم العمل يوم السبت وأنما قتلاً قتلوه...

«ولما كان بنـو إسرائيل فى البـرية وجدوا رجلا يحـتطب حطباً يوم الـسبت. فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطباً إلى موسى وهارون وكل الجماعة. فوضعوه فى المحرس لأنه لم يعلن ماذا يـفعل به. فقال الرب لموسى قتلاً يقـتل الرجل. يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة. فإخرجه كل الجماعة إلى خارج المحلة ورجموه بحجارة فمات كما أمر الرب موسى.»[٢].

ورب اليهود هو الذى شرع لهم أخذ البرىء بجريرة المذنب.

«مفتقد أثم الآباء فى الأبناء وفى أبناء الأبناء فى الجيل الثالث والرابع»[٣].

«يغفـر الذنب والسيئـة لكنه لا يبرىء بـل يجعل ذنب الآباء علـى الأبناء إلى الجبل الثالث والرابع...»[٤] وأولاد الزنى الأبرياء، منبوذون حـتى الجيل العاشر.

---

(١) عدد صح ١٦: ٢٧ ـ ٣٣.
(٢) عدد صح ١٥: ٣٢ ـ ٣٦.
(٣) خروج صح ٣٤: ٧.
(٤) عدد صح ١٤: ١٨.

«لا يدخل ابن زنى فى جماعة الرب. حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد فى جماعة الرب»[1].

ويشوع بن نون خليفة موسى، يقرر شرعة العقوبات المشتركة، فلا يكتفى بعقاب السارق، وأنما يقتل معه جميع أفراد أسرته.

«فأخذ يشوع عجان بن زارح (السارق) والفضة والرداء ولسان الذهب وبنيه وبناته وبقره وحميره وغنمه وخيمته وكل ماله وجميع إسرائيل معه وصعدوا بهم إلى وادى يخمور. فقال يشوع كيف كدرتنا يكدرك الرب فى هذا اليوم. فرجمه جميع إسرائيل بالحجارة وأحرقوهم بالنار ورموهم بالحجارة. وقاموا فوقه رجمة حجارة عظيمة إلى هذا اليوم. فرجع الرب عن حمو غضبه»[2].

وكيف نلوم موسى ويشوع وهما لم يفعلا إلا ما شرعه يعقوب الذى صرع ربه فسماه إسرائيل. ويعقوب التوراة هذا ظلم أخاه عيسو وسرق بكوريته وبركته، ولم يبطل أبوهما إسحق خطة المكر والخديعة، ولم يرفع الظلم بل حلله وأجازه..

«... فقال أنا أبنك بكرك عيسو. فارتعد إسحق إرتعادا عظيما جدا. وقال فمن فمن هو الذى اصطاد صيدا وأتى به إلى فأكلت من الكل قبل أن تجىء وباركته. نعم ويكون مباركا. فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جدا. وقال لأبيه باركنى أنا أيضاً يا أبى. فقال قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك. فقال إلا أن اسمه دعى يعقوب. فقد تعقبنى الآن مرتين أخذ بكوريتى وهو ذا الآن قد أخذ بركتى. ثم قال ما بقيت لى بركة. فأجاب إسحق وقال لعيسو أنى قد جعلته سيداً لك ودفعت إليه جميع أخوته عبيداً وعضدته بحنطة وخمر. فماذا أصنع إليك يا أبنى. فقال عيسو لأبيه ألك بركة واحدة يا أبى. باركنى أنا أيضاً يا أبى. ورفع عيسو صوته وبكى. فأجاب إسحق أبوه وقال هوذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك. وبلا ندى السماء من فوق وبسيفك تعيش ولأخيك تستعبد...»[3].

ونحن المسلمين نؤمن بأن فرعون كان ظالما، بيد أن التوراة تعالج قصة موسى

---

(١) تثنية صح ٢٣: ٢، ٣. (٢) يشوع صح ٧: ٢٤ ـ ٢٦.
(٣) تكوين ضح ٢٧: ٣٢ ـ ٤٠.

مع فرعـون بشكل عجـيب يجتذب عطـف القارىء على فـرعون وقومه فـالتوراة تسرف فـى السخط وتطبـيق القصـاص الجماعى علـى الشعب المظلـوم الذى كان فرعون يستعبده كـما يستعبد بنى إسرائيل. وعدالة رب اليهـود تبيح أن تصبح مياه المصريين دما وأن يموت السمك فى النهر وينتن، وأن يفيض النهر بالضفادع فتغطى أرض مصر، وأن يـتحول تراب الأرض إلى بعـوض، وأن يرسل الذباب ليـهاجم بيوت المـصريين، ولا يدخل إلـى بيوت بنى إسـرائيل وأن تنفق مـاشية المـصريين وخيلـهم وحميرهـم وجمالهم وبـقرهم بالوباء، وأن يـصاب المصريون بالـدمامل والبـثور، وأن يمـطر الرب بـرداً مقـرونا بنـار آكلة تـصيـب الحقـول والأعشـاب والأشجار، إلا أرض جاسـان حيث كان بنو إسرائيـل... وأن يرسل الجراد على كل أرض مصر ليأكل الأخضر واليـابس، وأن يلف مصر ظلام دامس ثلاثة أيام لا يبصر الأخ فيها أخاه، وأن يموت كل بكـر فى أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكره الجارية التى خلف الرحى وكل بكر بهيمة.

كل هذه العقوبات المشتركة يصبـها رب بنو إسرائيل على الشعب المصرى لأن فرعون الـطاغية تلكّأ فـى السماح لبنـى إسرائيل فى الخروج من أرض مـصر إلى الأرض التى تفيض لبنا وعسلا.... أرض فلسطين(١).

(١) راجع سفر الخروج صح ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢.

(٧)

الغشّ وَالسَّرقَة وَالطّمَعَ

أباحت التـوراة الغش والسـرقة والطمع، ونسـبت إلى الأنبيـاء تحليهـم بهذه الصفات القـبيحة التى يستـنكرها المجتمع الأنسانى حـتى عند الجماعات الهـمجية البدائية التى لم تر نبياً واحداً منذ بدء الخليقة حتى يومنا هذا.

فهذه رفقـة زوجة إسحق وأم عيسو ويـعقوب، تحرض ابنها الأصغـر يعقوب على سرقة بركة والده بالغش. والبركة كانت من حق الابن الأكبر عيسو.

«وكانت رفقة سامـعة إذ تكلم إسحق مع عيسو ابنه. فذهب عـيسو إلى البرية كى يصطاد صيداً ليأتـى به. وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قـائلة أنى قد سمعت أباك يكلم عيسـو أخاك قائلا. أئتنى بصيد وأصنع لى أطعـمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتى. فالآن يا ابنى أسمع لـقولى فى ما أنا آمرك به. أذهب إلى الغنم وخذ لى من هناك جديين جيدين من المعزى. فأصنعهما أطعمة لأبيك كما يحب. فتحضرها إلى أبيـك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته. فقال يعـقوب لرفقة أمه هوذا عيسو أخى رجل أشعر وأنا رجل أملس. ربما يجسنى أبى فأكون فى عينيه كمتهاون وأجلب على نفسى لعنة لا بركة. فقالت له أمه لعنتك على يا ابنى. أسمع لقولى فقط واذهب خذ لى. فذهـب وأخذ وأحضر لأمه. فصنعت أمه أطعـمة كما كان أبوه يحب وأخذت رفـقة ثياب عيـسو ابنها الأكبـر الفاخرة التى كانـت عندها فى البيت والـبست يعقوب ابنـها الأصغر. والبسـت يديه وملاسة عنقـه جلود جدى المعزى وأعطت الأطعمة والخبز التى صنعت فى يد يعقوب ابنها...»[١].

ونجحت الخطة المبنيـة على المكر والغش، ونال يعقوب بركة أبـيه إسحق باكلة جدى. ويشرب يعقوب بعدئذ من الكأس التى سـقاها أخاه عيسو. فبعد أنْ أكمل خدمته المـقررة مهرا لأبنته الصغـرى، غشه لابان وزوجه ابنته الـكبرى. ثم زوجه الصغرى على أن يخدمه سبع سنين أخرى.

---

(١) تكوين صح ٢٧: ٥ ـ ١٧.

«ثم قال يعقوب لـلأبان أعطنى امرأتى لأن أيامى قد كملت. فـأدخل عليها. فجمـع لأبان جميع أهل المكان وصـنع وليمة. وكان فى المـساء أنه أخذ ليئـة ابنته وأتى بها إليه. فدخل عليها. وفى الصـباح إذا هى ليئة. فقال للإبان ما هذا الذى صنعت بى. اليس براحـيل خدمت عندك. فلماذا خدعتنى. فـقال لابان لا يفعل هذا فى مكاننا أن تعطى الصغيرة قبل البكر. أكمل أسبوع هذه فتعطيك تلك أيضا بالخدمة التى تخدمنى أيضا سبع سنين أخر. ففعل يعقوب هكذا.»[1].

ثم ينتقم يعقوب من لابان ويغشه بطريقة عجيبة ماكرة، تتخلص فى أن لابان أراد أن يكرم يعقـوب على أخلاصه ويبقيـه فى خدمته، ويترك لـه تحديد الأجر. فطلب يعقوب أن تكون أجرته من الغنم كل شاة رقطاء وبلقاء وكل شاة سوداء بين الخرفان وبلقاء ورقطاء بين المعزى. فوافق لابان. ولنقرأ خطة يعقوب الجهنمية التى رسمها لغش سيده لابان...

«فأخذ يعقوب بنفـسه قضبانا خضرا من لبنى ولوز ودلب وقـشر فيها خطوطا بيضا كـاشطا عن البياض الـذى على القضبان. واوقـف القضبان التى قـشرها فى الاجران فى مساقى الماء حـيث كانت الغنم تجىء لتشرب تجاه الغـنم. لتتوحم عند مجيـئها لتشرب. فـتوحمت الغنم عند القـضبان وولدت الغنم مـخططات ورقطا وبلقا. وافرز يعـقوب الخرفان وجعل وجوه الغنم إلى المخـطط وكل أسود بين غنم لابان. وجعل له قطعـانا وحده ولم يجعلها مع غنم لابان. وحـدث كما توحمت الغنم القويـة أن يعقوب وضع القضبـان أمام عيون الغنم فى الأجران لـتتوحم بين القضبـان. وحين استضعفت الـغنم لم يضعها. فـصارت الضعيفة لـلابان والقوية ليعـقوب. فاتـسع الرجل كثـيراً جداً وكـان له غنم كثـير وجوار وعـبيد وجـمال وحمير...»[2].

وتعلم موسى التوراة من جده يعقوب فـن الغش والسرقة، كما رسمه له رب اليهود.

«وأعطى نعمة لهذا الشعب فى عيون المـصريين. فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين. بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بـيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين[3].

---

(١) تكوين صح ٢٩: ٢١ ـ ٢٨. (٢) تكوين صح ٣٠: ٣٧ ـ ٤٣. (٣) خروج صح ٣: ٢١ ـ ٢٢.

«فحمل الشعب عجينهم قبل أن يختمر ومعاجنهم مصرورة فى ثيابهم على أكتافهم. وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى. طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا. وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم. فسلبوا المصريين. . .»[1].

وعجباً لهذا الإله الذى يحل لشعبه المختار سرقة غيرهم من عباد الله، وينظم لهم خطة نفعية كاملة يحققها على حساب الآخرين.

«لأن الرب الهك آت بك إلى أرض جيدة أرض أنهار من عيون وغمار تنبع فى البقاع والجبال. أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان. أرض زيتون زيت وعسل. أرض ليس بالمسكنة تأكل فيها خبزا ولا يعوزك فيها شيء. أرض حجارتها حديد ومن جبالها تحفر نحاسا. . . احترز من أن تنسى الرب الهك. . . ولئلا تقول فى قلبك قوتى وقدرة يدى اصطنعت لى هذه الثروة. بل اذكر الرب الهك أنه هو الذى يعطيك قوة لاصطناع الثروة لكى يفى بعهده الذى أقسم لآبائك كما فى هذا اليوم. . .»[2].

ومن أسباب القوة التى أعطاها رب اليهود لشعبة المختار (لاصطناع الثروة) ابتزاز مال غير اليهود بالربا.

«لا تقرض أخاك بربا ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء ما مما يقرض بربا للأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا.لكى يباركك الرب إلهك فى كل ما تمتد إليه يدك فى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها. . .»[3].

وغريزة الطمع والجشع وعبادة المال، وخاصة ما كان ذهبا وفضة، أصيلة فى نفوس اليهود منذ خلقهم الله. وثبتها فى نفوسهم ونماها الههم المحب للذهب والفضة.

«وكلم الرب موسى قائلا. كلم بنى إسرائيل أن يأخذوا لى تقدمة. من كل من يحثه قلبه تأخذون تقدمتى. وهذه هى التقدمة التى تأخذونها منهم. ذهب وفضة ونحاس واسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص وشعر معزى وجلود كباش محمرة وجلود تخس وخشب سنط وزيت للمنارة وأطياب لدهن المسحة وللبخور

(١) خرج صح ١٢: ٣٤ ـ ٣٦. (٢) تثنية صح ٨: ٧ ـ ١٨.
(٣) تثنية صح ٢٣: ١٩ ـ ٢٠.

العطر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصدوة. فيصنعون لى مقدسا لاسكن فى وسطهم. يحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون.»[1].

وبلغ من شدة حبهم للذهب أنهم صنعوا منه عجلاً وعبدوه، فجاءت التوراة تفترى على هارون وتنسب إليه صنع عجل الذهب.

«فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم واتوا بها إلى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً. فقالوا هذه الهتك التى اصعدتك من أرض مصر. فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه...»[2].

وكهنة اليهود يحبون الذهب حباً جماً. فحين استولى الفلسطينيون على تابوت رب اليهود، ودعا الفلسطينيون الكهنة والعرافين قائلين. ماذا نعمل بتابوت الرب اخبرونا بماذا نرسله إلى مكانه. فقالوا إذا أرسلتم تابوت اله إسرائيل فلا ترسلوه فارغا بل ردوا له قربان أثم. حينئذ تشفون (من البواسير وهجوم الفيران).. فقالوا وما هو قربان الأثم الذى نرده له. فقالوا حسب إعداد أقطاب الفلسطينيين خمسة بواسير من ذهب وخمسة فيران من ذهب. لأن الضربة واحدة عليكم جميعا وعلى أقطابكم. واصنعوا تماثيل بواسيركم وتماثيل فيرانكم التى تفسد الأرض أعطوا اله إسرائيل مجداً لعله يخفف يده عنكم وعن الهتكم وعن أرضكم...»[3].

وبدا فى أيام عزهم ومجدهم أثناء حكم الملك سليمان، أن عنايتهم بالذهب تفوق كل وصف. حتى أن هيكلهم الذى ملؤا بطون الكتب عن عظمته وقداسته، جاء بناء عادياً لا ذوق فى بنائه ولا جمال فى هندسته ولا فن فى تصميمه برغم اكداس الذهب التى إستخدمت فى ذلك البناء.

«وكان وزن الذهب الذى أتى سليمان فى سنة واحدة ست مئة وستا وستين وزنة ذهب وعمل الملك سليمان مئتى ترس من ذهب مطرق. خص الترس الواحد ست مئة شاقل من الذهب وثلاث مئة مجن من ذهب مطرق. خص المجن ثلاث أمناء من الذهب. وعمل الملك كرسيا عظيما من عاج وغشاه بذهب ابريز...»[4].

---

(١) خروج صح ٢٥: ١ ـ ٩.
(٢) خروج صح ٣٢: ٢ ـ ٥.
(٣) صموئيل الأول صح ٦: ١ ـ ٦.
(٤) الملوك الأول صح ١٠: ١٤ ـ ١٨.

(٨)
الرّق والعبُوديّة

شرعت توراة اليهود أنظمة الرق والعبودية قبل أن تعرف فى التاريخ القديم والحديث. والشعب المختار فى نظر التوراة سيد وبقية شعوب الأرض من العبيد الذين يخدمون السادة اليهود إلى الأبد. . . ومنذ أيام نوح أحلت التوراة الرق ومهدت للشعب المختار أن يستعبد شعب كنعان لسبب تافه وحكم ظالم عجيب.

«وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما. وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه. فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً. فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على اكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجههما إلى الوراء. فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير. فقال ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لأخوته. وقال مبارك الرب اله سام. وليكن كنعان عبدا له. ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام. وليكن كنعان عبدا لها»[١].

وتصور التوراة يوسفا عليه السلام مستغلا ماهرا لفقر الشعب المصرى، فيشتريه وأرضه لحساب فرعون، بعد أن اشترى منهم الفضة والمواشى بالخبز الذى يدفع عنهم الموت.

«ولما تمت تلك السنة أتوا إليه فى السنة الثانية وقالوا له لا نخفى عن سيدى أنه إذ قد فرغت الفضة ومواشى البهائم عند سيدى لم يبق قدام سيدى إلا أجسادنا وأرضنا. لماذا نموت أمام عينيك نحن وأرضنا جميعا. اشترنا وأرضنا بالخبز فنصير نحن وأرضنا عبيدا لفرعون. . . فاشترى يوسف كل أرض مصر لفرعون إذ باع المصريون كل واحد حقله لأن الجوع أشتد عليهم فصارت الأرض لفرعون. وأما الشعب فنقلهم إلى المدن من أقصى حد مصر إلى أقصاه. فقال يوسف للشعب أنى قد اشتريتكم اليوم وأرضكم لفرعون.»[٢].

---

(١) تكوين صح ٩: ٢٠ ـ ٢٧. (٢) تكوين صح ٤٧: ١٨ ـ ٢٢.

وداود التوراة كان طاغيا مستبداً استعبد اليهود وغير اليهود. فقد كان خدامه الذين يتناوبون على خدمته أربعة وعشرين ألفا شهرياً. وأحصيت عددهم فى السنة فكانوا مائتين وثمان وثمانين ألفا من أفراد الشعب الذين كانوا ينالون شرف الخدمة عند ابن الرب داود.[1]واستمرأ الملك سليمان أنظمة العبودية التى خلفها أبوه داود وزاد عليها. وأستغل سليمان أبناء الشعب الفلسطينى الذين نجوا من الذبح والأبادة حولهم إلى عبيد يبنون له الهيكل. «جميع الشعب الباقين من الأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين الذين ليسوا من بنى إسرائيل. أبناؤهم الذين بقوا بعدهم فى الأرض الذين لم يقدر بنو إسرائيل أن يحرموهم (يقتلوهم) جعل عليهم سليمان تسخير عبيد إلى هذا اليوم. وأما بنو إسرائيل فلم يجعل سليمان منهم عبيدا لأنهم رجال القتال وخدامه وامراؤه وثوالثه ورؤساء مركباته وفرسانه»[2].

«وأمر سليمان بنباء بيت لاسم الرب وبيت لملكه. وأحصى سليمان سبعين ألف رجل حمال وثمانين ألف رجل نحات فى الجبل ووكلاء عليهم ثلاثة آلاف وست مئة»[3].

ومجموع أولئك العبيد من الفلسطينيين مئة وثلاثة وخمسون ألفا وست مئة.. وكيف نلوم داود وسليمان إذا كان رِب التوراة، رجل الحرب، رب الجنود، اله إسرائيل هو الذى أحل الأستعباد وأمر به.

«لأنهم عبيدى(بنو إسرائيل) الذين أخرجتهم من أرض مصر لا يباعون بيع العبيد. لا تتسلط عليه بعنف. بل أخش الهك. وأما عبيدك واماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم. منهم تقتنون عبيدا وإماء. وأيضا من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم فى أرضكم فيكونون ملكا لكم. وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك. تستعبدونهم إلى الدهر. وأما أخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف...»[4].

وتدعو التوراة إلى العبودية الأبدية. «ولكن إذا قال لك لا أخرج من عندك

---

(١) انظر صح ٢٧ من سفر أخبار الأيام الأول.

(٢) الملوك الأول صح ٩: ٢٠ ـ ٢٢.

(٣) أخبار الأيام الثانى صح ٢: ١ ـ ٢.

(٤) لاويون صح ٢٥: ٤٢ ـ ٤٦.

لأنه قد أحـبك وبيتك إذ كان لـه خير عندك. فـخذ المخرز واجعلـه فى أذنه وفى الباب فيكون لك عبداً مؤبداً. وهكذا تفعل لأمتك أيضا.»[1].

ولا تكتفـى التوراة بأن يستـعبد بنو إسرائـيل شعب فلسطين، بـل تسوق كل الشعوب والأمم وتجعلهم عبيدا لإسرائيل.

«هكذا قال السيد الرب ها أنى أرفع إلى الأمم يدى وإلى الشعوب أقيم رايتى. فيأتون باولادك فى الإحضان وبناتك على الأكتاف يحملن ويكون الملوك حاضنيك وسيـداتهم مـرضعاتـك. وبالوجوه إلـى الأرض يسجـدون لك ويلمـسون غـبار رجليك»[2].

«وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك. وتنفتح أبوابك دائما. نهاراً وليلاً لا تغلق ليـؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم. لأن الأمـة والمملكة التى لا تخدمك تبيد وخراباً تخرب الأمم.»[3].

---

(١) تثنية صح ١٥: ١٦ ـ ١٧.
(٢) أشعياء صح ٤٥: ٢٢ ـ ٢٣.
(٣) أشعياء صح ١٠ ـ ١٢.

(٩)
الحقْد وَالغَدْر وَالمَكْر

ما أكثر دروس الحقد والغدر والمكر التى تسردها التوراة ناسبة أغلبها إلى أنبياء اليهود. فقصة أبناء يعقوب مع شكيم الذى تزج بأختهم، تعتبر الدرس الأول من هذه الدروس اللاأخلاقية. وهم بعد أن مكروا وخدعوا آل شكيم واقنعوهم بالاختتان لتتم المصاهرة ويصبح الشعبان شعباً واحداً، انقلبوا عليهم بعد إتمام عملية الاختتان وأبادوهم.

«فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور أباه بمكر وتكلموا لأنه كان قد نجس دينة أختهم. فقالوا لهما لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر أن نعطى أختنا لرجل أغلف. غير أننا بهذا نواتيكم أن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ونسكن معكم ونصير شعباً واحداً... فحسن كلامهم فى عينى حمور وعينى شكيم بن حمور. ولم يتأخر الغلام أن يفعل الأمر. لأنه كان مسروا بابنة يعقوب. وكان إكرام جميع بيت أبيه. فأتى حمور وشكيم ابنه إلى باب مدينتهما وكلما أهل مدينتهما قائلين. هؤلاء القوم مسالمون لنا. فليسكنوا فى الأرض ويتجروا فيها. وهوذا الأرض واسعة الطرفين أمامهم. نأخذ لنا بناتهم زوجات ونعطيهم بناتنا... فسمع لحمور وشكيم ابنه جميع الخارجين من باب المدينة. واختتن كل ذكر. فحدث فى اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أن ابنى يعقوب شمعون ولاوى أخوى دينة أخذ كل واحد سيفه واتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر. وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف وأخذا دينة من بيت شكيم وخرجا. ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما فى المدينة وما فى الحقل. وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما فى البيوت»[١].

وما لبث أبناء يعقوب، حينما اكتشفوا أن أباهم يؤثر يوسف بمحبته، أن تآمروا عليه ونفسوا عن الحقد الذى كان يأكل صدورهم، ونفذوا جريمة ماكرة غادرة، بأن

(١) تكوين صح ٣٤: ١٣ ـ ٢٨.

باعوا أخاهم بعشرين من الفضة.

«فقال يهوذا لأخوته ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفى دمه. تعالوا فنبيعه للإسماعيليين ولا تكن أيدينا عليه لأنه أخونا ولحمنا. فسمع له أخوته واجتاز رجال مديانيون تجار. فسحبوا يوسف واصعدوه من البئر وباعوا يوسف للإسماعيليين بعشرين من الفضة...»[1].

وسرت هذه الأخلاق الغادرة الحاقدة الماكرة إلى بنى إسرائيل جميعهم. ومارسها أنبياؤهم وملوكهم وكهنتهم وقادة الجند منهم. وتصور التوراة داود أعظم أنبيائهم وملوكهم، حقودا غادرا، غدر بالشعب الفلسطينى الذى حماه وأكرمه يوم كان شريداً طريداً أمام خصمه شاؤل. فبعد مقتل شاؤل. تسلم داود الملك، وكشف عن مكره وغدره، بأن بطش بالفلسطينيين الذين ظنوا أن داود لابد أن يرد الجميل وخاصة أنهم عرضوا عليه الولاء وفرحوا بتسلمه الملك بعد أن كان لاجئاً عندهم.

«وسمع الفلسطينيون أنهم قد مسحوا داود ملكاً على إسرائيل فصعد جميع الفلسطينيين ليفتشوا على داود. ولما سمع داود. نزل إلى الحصن. وجاء الفلسطينيون وانتشروا فى وادى الرفائيين. وسأل داود من الرب قائلا أأصعد إلى الفلسطينيين أتدفعهم ليدى. فقال الرب لداود أصعد لأنى دفعاً أدفع الفلسطينيين ليدك. فجاء داود إلى بعل فراصيم وضربهم داود هناك...»[2].

وفى كل عمليات الغدر تستصدر التوراة أوامر الهية تبيح الغدر وتبرره وتأمر به. فداود التوراة لم يقدم على الغدر باللذين ساعدوه وحموه إلا بعد أن استشار رب اليهود فأمره بضرب الفلسطينيين....!

ولم ينس داود قبل أن يموت، أن يوصى ابنه سليمان بقتل عدد من الرؤساء والقادة غدراً. «وأنت تعلم ما فعل بى يوآب ابن صروية... فأفعل حسب حكمتك ولا تدع شيبته تنحدر بسلام إلى الهاوية... وهوذا معك شمعى بن جيرا... فحلفت له بالرب قائلاً أنى لا أميتك بالسيف والآن فلا تبرره لأنك أنت

(١) تكوين صح ٣٧: ٢٦ ـ ٢٨. (٢) صموئيل الثانى صح ٥: ١٧ ـ ٢٠.

رجل حكيم فأفعل ما تفعل به واحدر شيبته بالدم إلى الهاوية. . .»[1].

ولم يخالف سليمان وصية أبيه داود، فأستهل حكمه بسفك الدماء، وقتل غدراً أدوينا أخاه. ثم قتل يوآب القائد رغم أنه لجأ إلى خيمة الرب ليأمن على حياته، والحق شمعي بحسب وصية أبيه داود[2].

أما حقد رب اليهود على الأمم غير اليهودية فهو عنيف لا يقاوم.

«اقتربوا أيها الأمم لتسمعوا وأيتها الشعوب اصغوا. لتسمع الأرض وملؤها. المسكونة وكل نتائجها. لأن الرب سخطا على كل الأمم وحموا على كل جيشهم. قد حرمهم دفعهم إلى الذبح. فقتلاهم تطرح وجيفهم تصعد نتانتها وتسيل الجبال بدمائهم. . .»[3].

---

(١) الملوك الأول صح ٢: ٥ ـ ٩.
(٢) انظر صح ٢ من الملوك الأول.
(٣) أشعياء صح ٣٤: ١ ـ ٣.

(١٠)
الغايَة تبرّر الوَسيلة

أباحت توراة اليهود أن يصل الإنسان إلى غايته باية وسيلة حتى لو كانت تلك الوسيلة منافيــة للأخلاق. وميكافللى الذى يضرب به المثل على تطبـيق مبدأ الغاية تبرر الوسيلة، مظـلوم حقاً، لأن هذا المبدأ موجود فى توراة اليـهود التى تثبت أن أنبياء التـوراة قد طبقوا هذا المبدأ قـبل آلاف السنين. فها هو إبراهيم عـليه السلام تصوره التوراة أنانياً غايته أن يعيش ولو عـلى حساب كرامته. وتنسب إليه أنه فرّط فى عرضه خوفاً على حياته.

«وحدث جوع فى الأرض. فأنحدر ابرام إلى مـصر ليتغرب هناك. لأن الجوع فى الأرض كان شديدا. وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراى امرأته إنى قد علـمت أنك امرأة حسنـة المنظر. فيكـون إذا رآك المصريون أنهم يقـولون هذه امرأته فيقتلوننى ويستبقونك. قولى أنك أختى. ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك. فـحدث لما دخل إبراهيم إلى مـصر أن المصريين رأوا المرأة أنهـا حسنة جدا. ورآها رساء فرعون ومدحوها لدى فرعون. فأخذت المرأة إلى بيت فرعون. فصنـع إلى أبرام خيـرا بسببـها. وصار لـه غنم وبقر وحـمير وعـبيد وإمـاء واتن وجمال. . . »[1].

وانتقل إبراهـيم من هناك إلى أرض الجنوب وسكن بين قـاوش وشور وتغرب فى جرار. وقال إبـراهيم عن سارة امرأته هى أخـته. فأرسل أبيمـالك ملك جرار وأخذ سارة. . . وأخذ أبيـمالك غنما وبقرا وعبيـدا وأماء وأعطاها لإبراهيم. ورد إليه سارة امرأته. . . »[٢].

وكذلك فـعل إسحق بن إبـراهيم يوم امره رب الـيهود أن يتـغرب فى أرض جرار.

«وسأله أهل المكان عـن امرأته. فقال هى أختى. لأنه خـاف أن يقول امرأتى لعل أهل المكان يقتلوننى من أجل رفقة لأنها كانت حسنة المنظر. وحدث إذ طالت

---

(١) تكوين صح ١٢: ١٠ ـ ١٦. (٢) تكوين صح ٢٠: ١ ـ ١٤.

له الأيام هناك أن أبيمالك ملك الفلسطينيين أشرف من الكوة ونظر وإذا إسحق يلاعب رفقة امرأته. فدعا أبيمالك إسحق وقال إنما هى امرأتك. فكيف قلت هى أختى. فقال له إسحق لأنى قلت لعلى اموت بسببها. . .»[1].

وما دامت الغاية فى نظر أنبياء التوراة تنبرر الوسيلة فلماذا لا يطبقها الملوك؟ فها هو أخاب ملك السامرة، يعجبه كرم جاره نابوت، فيحاول شراءه. إلا أن نابوت لا يبيع الكرم الذى ورثه عن أبيه. فكيئتب الملك أخاب وتهرع زوجه أيزابل إلى نجدته. وترسم الخطة الغادرة الماكرة التى توصل الملك إلى غايته. وتدبر أيزابل الخطة وتستدعى رجلين ليشهدا أن نابوت قد جدف على الله وعلى الملك فيرجمه كهنة بنى إسرائيل ليخلو للملك الجو فيستولى على كرم نابوت. . .

«ففعل رجال مدينته الشيوخ والأشراف الساكنون فى مدينته كما أرسلت إليهم ايزابل كما هو مكتوب فى الرسائل التى أرسلتها إليهم. فنادوا بصوم واجلسوا نابوت فى رأس الشعب. واتى رجلان من بنى بليعام وجلسا تجاهه وشهد رجلا بليعام على نابوت أمام الشعب قائلين قد جدف نابوت على الله وعلى الملك. فأخرجوه خارج المدينة ورجموه بحجارة فمات وارسلوا إلى إزابيل يقولون قد رجم نابوت ومات. ولما سمعت إيزابل أن نابوت قد رجم ومات قالت إيزابل لاخاب قم رشن كرم نابوت اليزرغيلى الذى أبى أن يعطيك إياه بفضة لأن نابوت ليس حيا بل هو ميت. ولما سمع اخاب أن نابوت قد مات قام أخاب لينزل إلى كرم نابوت اليزر على ليرثه. .»[2].

وشرعت توراة اليهود قواعد التجسس وجعلتها ركناً أساسياً فى حياة اليهود ولعل كلمة تجسس لم ترد على لسان أحد فى الدنيا قبل ورودها على لسان رب اليهود.

« ثم كلم الرب موسى قائلا. ارسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان التى انا معطيها لنبى اسرائيل. رجلاً واحداً لكل سبط من آبائه ترسلون. كل واحد رئيس فيهم. فأرسلهم موسى من برية فاران حسب قول الرب. كلهم رجال هم رؤساء بنى اسرائيل.»[3].

---

(١) تكوين صح ٢٦: ٧ ـ ٩.
(٢) الملوك الأول صح ٢١: ١١ ـ ١٦.
(٣) عدد صح ١٣: ١ ـ ٣.

واستهل يشوع زحفه على أريحا بأن أرسل جاسوسين استعانا بالزانية راحاب التي اخفتهما عن عيون ملك أريحا ورجاله. فقدر لها يشوع هذا الصنيع وابقى على حياتها من دون شعب اريحا الذى افناه يشوع وجيشة...

«وحرموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والحمير بحد السيف. وقال يشوع للرجلين اللذين تجسسا الأرض ادخلا بيت المرأة الزانية واخرجا من هناك المرأة وكل مالها حلفتما لها. فدخل الغلامان الجاسوسان واخرجا راحاب واباها وامها واخوتها وكل ما لها واخرجا كل عشائرها وتركهم خارج محلة إسرائيل. واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها[1].

ثم طبق ملوك إسرائيل وأنبياؤهم وسيلة التجسس على نطاق واسع، حتى أن الملك داود قد استخدم يوناثان بن شاؤل جاسوساً على أبيه. كما بث ابشالوم الجواسيس من جميع اسباط إسرائيل[2].

(١) يشوع صح ٦: ٢١ ـ ٢٤.

(٢) صموئيل الثانى صح ١٥: ١٠.

(١١)

الجُبْن والنِّفَاق

سجلت تـوراة اليهود على الشـعب المختار جبناً أصـيلاً ونفاقاً فطـرياً. فحين سحبـهم موسى من مـصر ورأوا المصريين من خلـفهم دب الرعب فى نفـوسهم. «ففزعوا جداً وصـرخ بنوا إسرائيل إلى الرب. وقالوا لموسى هل لأنـه ليست قبور فى مصر اخذتنا لنموت فى البرية. أليس هذا هو الكلام الذى كلمناك به من مصر قائلين كف عنا فنـخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخـدم المصريين من أن نموت فى البرية. فقال موسى لاتخافوا. . . الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون.»[١].

وحين عاد الجواسيس الذين بعث بهم موسى للتجسس ومعرفة أحوال البلاد، أشاعوا أن الأرض قاحلة تأكل ساكنيها، وأن شعبها من الجبابرة طوال القامة.

«فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة. وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بنى إسرائيل وقال لهـما كل الجماعة ليتنا متنا فى أرض مصر أو ليتنا فى هذا القفر. ولمـاذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف. تصير نـساؤنا وأطفالنا غنيـمة. أليس خيراً لنا أن نـرجع إلى مصر. فقال بـعضهم لبعض نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر»[٢].

وتعترف التوراة بأن عدد الجيش الزاحف مع موسـى ويشوع كان كبيراً خيالياً. فقد ورد فـى الاصحاح الأول من سفر الـعدد أن عدد الخارجين للـحرب من سن عشـرين فصـاعداً قـد بلغ ست مـئة ألف وثـلثة آلاف وخـمس مئـة وخمـسون محاربا[٣]. فإذا ما علمنا بأن شعب فلسطين وسكان اريحا بوجه خاص، كانوا قلة غافلة غيـر مستعدة لهذا الزحف المـفاجئ، أدركنا حالة الجبن التى كانـت مسيطرة على نفوس اليهود.

ولا شك أن قـارئ التوراة يعـجب حين يجـد ذكر رب الجنـود الذى هو رب اليهود، يرد فى أغلب صفحات التوراة محاربـاً جباراً عن شعبه المختار، مما يساعد على إدراك حقيقة جبن اليهود، وخاصة من خلال جميع أعمالهم الحربية التى هى بحق رمز القسوة والوحشية والهمجية.

---

(١) خروج صح ١٤: ١٠ ـ ١٤. (٢) عدد صح ١٤: ١ ـ ٤. (٣) عدد صح ١: ٢٠ ـ ٥٠.

(١٢)

الجُحود ونكران الجَميل

تحمل التوراة فى ثناياها طبيعة اليهود الجاحدة الناكرة الجميل والمعروف. وتكشف قصة يوسف فى مصر، التى توردها التوراة، عن لؤم اليهود وجحودهم ونكرانهم الجميل. وتبدأ القصة من أيام تسلط يوسف على أرض مصر وشعبها، بسبب نفوذه عند فرعون، وما كان من مجاعة عامة فى أرض كنعان، أدت إلى أن يهب يوسف لمساعدة أبيه وإخوانه وإنقاذهم من المجاعة وتزويدهم بالمال والطعام والعجلات والدواب التى تنقلهم إلى مصر.

«فقام يعقوب من بئر السبع. وحمل بنوا إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونساءهم فى العجلات التى أرسل فرعون لحمله. وأخذوا مواشيهم ومقتناهم الذى اقتنوا فى أرض كنعان وجاءوا إلى مصر.»[١].

وحين قابلهم يوسف اتفق معهم على أن يذكروا أمام فرعون أنهم رعاة غنم وأهل مواشى، ليسكنهم أرض جاسان المنعزلة. وتلك لعمرى خطة أملتها أخلاق اليهود المستمدة من الغرور والتعالى والانعزال وكره الناس كافة. وكان فرعون شهماً كريماً فوافق على طلبهم.

«فكلم فرعون يوسف قائلاً أبوك واخوتك جاءوا إليك. أرض مصر قدامك. فى أفضل الأرض اسكن أباك واخوتك. ليسكنوا فى أرض جاسان. وإن علمت أنه يوجد بينهم ذوو قدرة فاجعلهم رؤساء مواشى على التى لى.. فأسكن يوسف أباه واخوته وأعطاهم ملكاً فى أرض مصر من أفضل الأرض فى أرض رعمسيس كما أمر فرعون وعال يوسف أباه واخوته وكل بيت أبيه بطعام على حسب الأولاد»[٢].

وتكاثر بنو اسرائل فى مصر، لأنهم كانوا ينعمون بخيرات البلاد، ويعيشون بهدوء في ظلال سطوة يوسف ومجده حتى بعد مماته، ولم يكن عبثاً أن يشعر فرعون جديد بالقلق لكثرة بنى إسرائيل وتجمعهم وانكماشهم على أنفسهم.

---

(١) تكوين صح ٤٦: ٥ ـ ٦.

(٢) تكوين صح ٤٧: ٥ ـ ١١.

«ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعـرف يوسف. فقال لشعبه هوذا بنوا إسرائيل شـعب أكثر وأعظم منـا. هلم نحتال لهـم لئلا ينموا فيـكون إذا حدثت حرب انهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض»[١].

ثم تأتى قـصة موسـى مع فرعون مـصر، فتوردهـا التوراة بأسلـوب ينم عن جحود صارخ، ويجـعل القارئ عطوفاً على فرعون البـاغى، لا على موسى وبنى إسرائيل المضطهدين...

ومن لا يعطف على فرعون التوراة، فإنه لا شك منجذب بأحاسيسه وعواطفه إلى ذلك الـشعب البـرىء الكريم المضيـاف، الذى صب علـيه رب اليهـود أو إله التـوراة، جام غضـبه وسـخطه، ورماه بـالأوبئة والدواهـى، وذلكم هو الشـعب المصرى.

ورب اليهود الذى ضرب المصريين اشباعاً لغـريزة اليهود اللئيمة الجاحدة، هو رب الجنود الذى أوحى إلى داود أن يغدر بالفلسـطينيين الذين آووه وحموه فى أيام محنته، وحين أصبح ملكاً تنكر لهم وجحـد فضلهم وأنكر جميلهم، ثم فتك بهم واستعبدهم.»[٢].

(١) خروج صح ١: ٨ ـ ١٠.

(٢) أخبار الملوك الأول صح ١٤: ٨ ـ ١٠.

(١٣)
الاستغلال والسّيطرَة

لا يكاد سفر من أسفار التوراة ولا اصحاح من اصحاحاتها يخلو من بيان يجلو غريزة الاستغلال وحب السيطرة، الكامنة فى نفوس اليهود منذ أيامهم الأولى، حتى قبل أن تنهال عليهم الوعود الالهية من رب الجنود يهوه، تلك الوعود التى ضاعفت من تلك الغريزة ونمتها لتغدو شهوة مسعورة لا يمكن معالجتها أو كبح جماحها.

ويبدو لنا من قراءة التوراة أنه بعد أن استقر حكم اليهود فى الجزء الجبلى من فلسطين ـ أورشليم والسامرة ـ على أنقاض شعب فلسطين الشجاع، أعلن الملك داود أن رب اليهود أمره ببناء بيت لسكناه. وإن الرب قد اختار أورشليم محلاً لسكناه لأنه اشتهاها . . .

وأعلن داود أن يهوه قدر انشغاله بالحروب الكثيرة، فنقل مسؤولية بناء بيت الرب لابنه سليمان. وحين تولى سليمان الملك شرع فى تنفيذ وصية أبيه داود المبنية على أوامر رب الجنود، وبدأت عمليت بناء هيكل سليمان التى تعد من أشد عمليات التاريخ ظلماً واستغلالاً وتسلطاً.

«وسخر الملك سليمان من جميع اسرائيل وكانت السخر ثلاثين ألف رجل. فأرسلهم إلى لبنان عشرة آلاف فى الشهر بالنوبة. يكونون شهراً فى لبنان وشهرين فى بيوتهم. . .»[1].

«وعدّ سليمان جميع الرجال الأجنبيين الذين فى أرض اسرائيل بعد الله الذى عدهم إياه داود أبوه فوجدوا مئة وثلاثة وخمسين ألفاً وست مئة. فجعل منهم سبعين ألف حمال وثمانين ألف قطاع على الجبل وثلاثة آلاف وست مئة وكلاء لتشغيل الشعب.»[2].

ولا يعجبن القارىء حين يعلم أن هذا الهيكل الذى كان نذير شؤم وبلاء على اليهود بوجه خاص وعلى الإنسانية بوجه عام، قد بناه مهندسون لبنانيون وعمال

---

(١) أخبار الملوك الأول صح ١٤: ٨ ـ ١٠.
(٢) أخبار الأيام الثانى صح ٢: ١٧ ـ ١٨.

فلسطينيــون، وجلبت مواد بنائه وبخـاصة خشب الأرز من غابات لبنـان، وعماله الفنيون فى صناعـة الذهب والفضة من لبنان كذلك. ولم يكـن دور سليمان وبنى سليمان وبنــى إسرائيل فيه سوى استخـدامه بعد تمامه مكاناً للعـبادة ذات الطقوس العجيبة التى تتـمثل فى حرق شحوم الذبائح لتصعد روائحهـا ليلاً ونهاراً، إشباعاً لشهوة يهوه ورغبته، فىٍ استنشاق رائحة المحروقات الحيوانية.

وتستمر قصة هيكل سليمان وتسخير الشعوب من أجل إعادة بنائه. ففى عهد كورش ملك الفرس، سمح بعودة بنى إسرائيل من السبى وسخر لهم موارد الدولة يستخدمونها فى إعادة بناء الهيكل. «فمن مال الملك من جزية عبر النهر تعط النفقة عاجلاً لـهؤلاء الرجال حتى لا يبـطلوا. وما يحتاجـون إليه من الثيـران والكباش والخراف محرقة لالـه السماء وحنطة وملح وخمر وزيت حسـب قول الكهنة الذين فى أورشليم لـتعط لهم يومـاً فيوماً حتـى لا يهدأوا. وقد صدر مـنى أمر أن كل إنسان بغير هـذا الكلام تسحب خشبة من بيتـه ويعلق مصلوباً عليها ويـجعل بيته مزبلة من أجل هذا.

وفى عهد الملك ارتحشستا ظهر الكاهن عزرا الذى استطاع أن يتقرب إلى الملك ويحصل منه على رسالة من أعجب رسائل الانتهازية والمكر والاستغلال. والرسالة ويحصل منه علـي أوامر ملكية إلى الحكام والولاة الذين يمر بهـم عزرا فى طريقة من بابل إلى أورشليم، ليضعوا تحت تصرفه موارد البلاد وثروتها.

«قد صـدر منى أمر أن كـل من أراد فى ملكى مـن شعب إسـرائيل وكهنـته واللاويين أن يرجـع إلى أورشليم مـعك فليرجع. مـن أجل أنك مرسل مـن قبل الملك ومشيريه مـن السبعة لأجل السؤال عن يهوذا واورشليم حـسب شريعة الهك التى بيـدك. ولحمل فضة وذهـب تبرع به الملك ومـشيروه لاله إسرائـيل الذى فى اورشليم مسكنه. وكل الفضة والذهب الذى تجد فى بلاد بابل مع تبرعات الشعب والكهنة المتبرعين لبيت إلههم فى اورشليم. لـكى تشترى عاجلاً بهذه الفضة ثيراناً وكباشاً وخرافاً وتقدماتها وسكائبـها وتقربها على المذبح الذى فى بيت الهكم الذى فى اورشليم. ومهمـا حسن عندك وعند اخوتك ان تعملوه ببـاقى الفضة والذهب فحسـب ارادة الهكم تعملـونه. والآنية التى تعـطى لك لأجل خدمة بـيت الهك فسلمها أمام اله اورشليم. وباقى احتياج بيت الهك الذى يتفق لك أن تعطيه فأعطه

من بيت خزائن الملك. ومنى أنا ارتحشستا الملك صدر أمر إلى كل الخزنة الذين فى عبر النـهر أن كل ما يطلبه مـنكم عزرا الكاهن كاتب شـريعة اله السماء فلـيعمل بسرعة. إلى مئة وزنة من الفضة ومئة كر من الحنطة ومئة بث من الخمر، ومئة بث من الزيت والملح من دون تقـييد.. ونعلمكم أن جميع الكـهنة واللاويين والمغنين والبوابين والنتينيم وخدام بيت الله هـذا لا يؤذن أن يلقى عليهم جزية أو خراج أو خفارة...»(١).

وتكررت عملية الاسغلال حين ظهر الكـاهن نحميا، وخدع الملك وناح أمامه حزناً على بنى إسرائيل الذين ينتظرون نجدته فى اورشليم.

«وقلت للملك أن حسن عند الملك فلتعط لى رسائل إلى ولاة عبر النهر لكى يجـيزونى حتـى أصل إلى يهوذا. ورسـالة إلى آسـاف حارس فردون الملـك لكى يعطينى أخشاباً لسقف أبواب القصر الذى للبيت ولسور المدينة وللبيت الذى أدخل إليه. فأعطانى الملك حسب يد الهى الصالحة على»(٢).

وكان لنحـميا ما أراد وسـخرت أموال البلاد فى خـدمة اليهود وأعـاد ترميم الهيكل وأصعد المحرقات ارضاء لرب اليهود الساكن فى اورشليم.

واستغلال اليهود لغيرهم من شـعوب الأرض، شىء عادى يعتبرونه حقاً قرره لهم إله اسرائيل.

«ارفعى عيـنيك حواليك وانظرى (يا أورشلـيم). قد اجتمعـوا كلهم. جاءوا إليك. يأتى بنوك مـن بعيد. وتحمل بناتك عـلى الأيدى. حينئذ تنظريـن وتنيرين ويخفـق قلبك ويتسع لأنـه تتحول إليك ثـروة البحر ويأتى إلـيك غنى الأمم... وترضعين لـبن الأمم وترضعين ثدى ملوك... عـوضاً عن النحـاس آتى بالذهب وعوضاً عن الحديد آتى بالفضة وعوضـاً عن الخشب بالنحاس وعوضاً عن الحجارة بالحديد...»(٣).

«ومد الرب يده ولمس فـمى وقال الرب لى ها قد جعلت كـلامى فى فمك. انظر. قد وكلـتك هذا اليوم على الشعـوب. وعلى الممالك لتقلع وتـهدم وتهلك وتنقض...»(٤).

(١) عزرا صح ٧: ١٣ ـ ٢٤.
(٢) نحميا صح ٢: ٧ ٨.
(٣) اشعياء صح ٦٠: ٤ ١٧.
(٤) ارميا صح ١:٩ ـ ١٠.

(١٤)

الكَذِب

الكذب فى توراة اليهود من الأمور الشائعة التى يصادفها القارىء فى أغلب صفحات العهد القديم البالغة ١٣٥٨ صفحة. ويأخذ الكذب عند يهود التوراة أشكالاً مختلفة تصور كلها نفسية اليهود المريضة وخيالهم السقيم وعقولهم السخيفة التي تؤمن بالخرافات والشعوذة. ولقد سبق أن عرضنا فى أول هذا الفصل، للوعود الكاذبة الكثيرة التى لفقها حاخامات اليهود وحشوا بها توراتهم. فلنعرض اذن لأشكال أخرى من الكذب المفضوح الذى لا ينطلى على عقل طفل بله إنسان عاقل. وها هى التوراة تكذب على لسان يشوع:

«حينئذ كلم يشوع الرب يوم أسلم الرب الأموريين أمام بنى إسرائيل وقال أمام عيون إسرائيل يا شمس دومى على جبعون ويا قمر علي وادى ايلون. فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه. أليس هذا مكتوباً فى سفر ياشر. فوقفت الشمس فى كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل. ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب صوت إنسان. لأن الرب حارب عن إسرائيل.»[١].

وتكذب التوراة كثيراً فى قصة شمشون الذى يمسك في آن واحد بثلاث مئة ثعلب ويربطها بأذنابها بمشاعل تحرق زروع الفلسطينيين.

«وذهب شمشون وأمسك ثلاث مئة ابن آوى وأخذ مشاعل وجعل ذنباً إلى ذنب ووضع مشعلاً بين كل ذنبين فى الوسط. ثم أضرم المشاعل ناراً وأطلقها بين زروع الفلسطينيين فأحرق الاكداس والزرع وكروم الزيتون»[٢]. وقوته الخارقة حين يقتل ألف رجل فلسطينى بفك حمار...

«ووجد لحى حمار طرياً فمد يده وأخذه وضرب به ألف رجل. فقال شمشون بلحى حمار كومة كومتين. بلحى حمار قتلت ألف رجل...»[٣].

«ثم خاتمة شمشون التوراة، حين يمسك بيديه، العمودين المتوسطين فى المعبد، وينحنى عليهما ليسقط المعبد على رؤوس آلاف الفلسطينيين...»[٤].

---

(١) يشوع صح ١٠: ١٢ ـ ١٤.
(٢) قضاة صح ١٥: ٤ ـ ٥.
(٣) قضاة صح ١٥: ١٥ ـ ١٦.
(٤) قضاة صح ١٦: ٢٧ ـ ٣٠.

وكذب التوراة فى مسائل الحرب كثيـر جداً. «وابتدأ ابيا فى الحرب بجيش من جبابرة القتال أربع مـئة ألف رجل مختار ويربعام اصطف لمحاربتـه بثمان مئة ألف رجل مـختار جـبابرة بـأس. . . فخرج إلـيهم زارح الكـوشى بجيـش ألف ألف وبمركبات ثلاث مئة. . .»[1].

وهذه الأرقام التى تصـل إلى ثمان مئة ألف وتصل إلـى ألف ألف (مليون)، خيالية كاذبة. لأن وسائل التعبئة والسوق فى حروب ذلك الزمن كانت عاجزة عن اعداد مثل تلك الجيوش الضخمة.

وداود التوراة كذوب لا يخفى كذبه حتى فى مزاميره الدينية.

«عند خروج اسـرائيل من مصـر وبيت يعقوب مـن شعب أعجم كـان يهوذا مقدسـه. وإسرائيل محل سلطانه. الـبحر رآه فهرب. الاردن رجع إلى البـحر قد هربت وما لك أيها الأردن قد رجعت إلى خلف. وما لـكن أيتها الجبال قد قفزتن مثل الكباش وأيتها التلال مثل حـملان الغنم. أيتها الأرض تزلزلى من قدام الرب من قدام اله يعقوب المحول الصخرة إلى غدران مياه الصوان إلى ينابيع مياه.»[2].

وحين تصور التوراة داود كاذباً، فإنهـا لا تأتى بجديد حين تكذب فى وصف ضباطه الابطال. . .

«هذه أسماء الأبطال الذين لداود، يوشيب بشـبت التحكمونى رئيس الثلاثة. هو هز رمحه على ثمان مئة قتلهم دفعة واحدة. . . وابيشاى أخو يوآب ابن صروية هو رئـيس ثلاثـة. هذا هز رمـحـه على ثلاث مـئـة قتـلهم فـكان له اسـم بين الثلاثة. . .»[3] [4].

(١) أخبار الأيام صح ١٣: ٣، وصح ١٤: ٩.

(٢) مزمور ١٤٠: ١ ـ ٨.

(٣) صموئيل الثانى صح ٢٣: ٨ ـ ١٨.

(٤) «جذور البلاء» عبدالله التل. ص٩ ـ ٦٧ باختصار يسير.

الخاتمة

من خلال استعراضنا للحوارات التى دارت بين الرسول ﷺ وبين اليهود ومن خلال حديث القرآن عن اليهود، وكذا من خلال صفات اليهود المسجلة فى كتابهم المقدس، تبين أن اليهود قوم لا أمان ولا عهد لهم أبداً، وأنهم لم ولن يتخلوا عن صفات الغدر والخيانة ونقض العهود والمواثيق. وإذا كان هؤلاء الملاعين قد فعلوا ما فعلوا مع النبى ﷺ - بالرغم من تأكدهم من صدقه ومعرفتهم له كما يعرفون أبناءهم - فكيف بما فعلوه وما يفعلونه مع المسلمين فى كل زمان ومكان.

ولست بحاجة إلى بيان ما يفعله اليهود بالمسلمين وما يخططون له، فهذا أمرٌ واضح وجلى لكل ذى عينين. ومن العجب أننا نرى كثيراً من المسلمين بدلاً من أن يعلنوا العداء لليهود والنصارى ويحذروا مكرهم وخداعهم رأيناهم على العكس من ذلك تماماً، فهم يتوددون إليهم! يوالونهم! ويستجدون من مناهجهم وأوضاعهم ونظمهم الخبيثة! ويسارعون فى هواهم! وينفذون ما يمليه عليهم عبّاد الصليب وإخوة القردة والخنازير!!

أما علم هؤلاء أن الله عز وجل قد جعل من يوالى اليهود والنصارى حكمه كحكمهم.

ألا فليسمع هؤلاء قول الله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [المائدة: ٥١] وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٠٠].

أيظن هؤلاء أنهم بموالاتهم لليهود والنصارى سوف ينالون رضاهم؟! كلا كلا، فإن رب العزة يقول ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ**﴾ [البقرة: ١٢٠] «إن الله عز وجل يخبرنا فى هذه الآية على جهة التأكيد والدوام أن اليهود والنصارى لن يصطلحوا معنا، ولن يسالمونا أو يرضوا عنا، حتى نتبع باطلهم، نحذوا حذوهم فى شركهم وكفرهم وانحلالهم، فمن الغباء والجهل بل من الكفر، أن يشك الإنسان فى إخبار الله عز وجل فى طبيعة العلاقة

لكل من اليهود والنصارى معنا، إن من يظن أنه يمكن أن يقع خلاف ما أخبر الله به فى شأن اليهود والنصارى يكون غير مسلم، إنه لا يتصور من مسلم أن يعتقد أنه من الممكن أن يتحول اليهود والنصارى إلى أناس مسالمين، موادعين، مناصرين لنا على الحق، إن هذا التصور الخاطىء والفهم الساذج لا يصدر إلا عن إنسان مخدوع بأضاليل اليهود والنصارى، معرض عن تلاوة كتاب الله وتدبر آياته»(1).

كما يخبرنا الله فى هذه الآية أن ولايته ونصرته يرفعها عن الذين يتبعون أهواء اليهود، وإذا رفع الله ولايته ونصرته عن عباده - جزاءً بما عملوا - حلّ بهم ضنك العيش وذل الفاقة ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا. قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى** ﴾.

وهذه سنة كونية لله فى خلقه، أنه يرفع نصرته عمن يعرض عنه وفى المقابل ينصر من يواليه ويتمسك بهديه. كما قال تعالى: ﴿ **إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ [محمد: ٧] وقال تعالى: ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [الحج: ٤٠] فمن أراد القوة والعزة فلن يحصل عليهما إلا من القوى العزيز الذى بيده مقاليد الأمور كلها، لا إله غيره ولا رب سواه ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [آل عمران: ٢٦]

وصلى اللهم على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وسبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت

نستغفرك ونتوب إليك

بفضل الله ومنه وكرمه تم الفراغ من كتابته

فى مساء يوم الأربعاء الموافق

الثلاثون من شهر رجب لعام ١٤١٧ الموافق: ١١/١٢/ ١٩٦

أبو عبد الرحمن/ محمد بن بيومى

---

(١) «الموالاة والمعاداة فى الشريعة الإسلامية» محماس بن عبد الله الجعلود (١/ ٧٦).

الفهرس

مطبعة جزيرة الورد

المنصورة ـ نوسا البحر

تليفون: ٤٤١١٩١